مجلة
روايات احلام

فراشة المحبة

شاطئ الحجر

مجلة روايات احلام

فراشة المحبة

شاطىء الجمر

رافقت فيليسا عائلة عمها الثرية في عطلتها الصيفية إلى جنوبي فرنسا، لكن كخادمة. وكان مطلوباً منها البقاء في الظل، وعدم الاقتراب من عريس ابنة عمها المحتمل.

لكن براندون هاثيون هو الذي انجذب نحوها، ولم تفهم فيليسا لماذا: هل يحب الاغنياء أحياناً أن يتسلوا مع الفقراء، أم أن براندون هاوي مشاكل ومع فيليسا هناك دائماً مشاكل..

على كل حال، ما بدا واضحاً لفيليسا أن اية علاقة بينهما لن تمر إلا على جثة ابنة عمها فريدا!!

لبنان ٢٠٠٠ ل.ل.	الامارات ٦ د.	مصر ٤ ج	اليمن
سوريا ٥٠ ل.س.	قطر ٦٠٠ ر.	المغرب ١٥ د.	السودان
الاردن ١ د.	البحرين ٦٠٠ ف.	تونس ١٠٥ د.	العراق
الكويت ٥٠٠ ف.	السعودية ٧ ر.	عمان ٦٠٠ ب.	

فراشة المحبة

١ ـ الوصيفة

وضعت فيليسا لامب كوب قهوتها بحدة فوق طاولة المطبخ فوقع، وكان غضبها أقوى من أن تكبحه:

ـ لكنني لا أريد السفر.. فلماذا عليّ أن أسافر؟

نظرت إليها أمها بتعاسة، وبتنهيدة ثم بدأت ترجوها:

ـ الفترة فقط ثلاثة أشهر تقريباً. معظم الفتيات يقفزن فرحاً لفكرة قضاء الصيف في الريفيرا الفرنسية.. لو كنت مكانك لما ترددت لحظة.

ردت فيليسا بفظاظة:

ـ افعلي إذن. سافري أنت.

ثم هزت رأسها، وكادت أن تفقد صبرها لردها السخيف.

ـ حسناً.. لا تقولي هذا.. أعرف أنهم يريدونني أنا وليس أنت.. مع أنني لا أدري لماذا لم يرغبوا في ذهابك أيضاً.. في استطاعتهم تحمل النفقات بكل تأكيد.

ردت السيدة لامب بطول أناة:

ـ عمك يقول في رسالته إنهم يريدونك لتكوني رفيقة فريدريكا.. وسيكون الأمر كعطلة لك، وأنت في حاجة إلى عطلة يا حبيبتي. لقد عملت بجهد شاق في السنوات الأخيرة.

ـ هراء.. لم يكونوا يهتمون بي قبل أن أحصل على شهادة الكفاءة في التجميل وتصفيف الشعر.. إنهم يريدونني معهم مجرد وصيفة لزوجة عمي هيلين ولفريدا.

صححت الأم لها بتعب: فريدريكا.

ـ لطالما كان اسمها فريدا قبل أن يحالفهم الحظ في الترقي ضمن

السلم الاجتماعي.

ـ لكن لا تستطيعين القول إنهم تجاهلوك يا فيليسا.. لقد أمضيت العديد من العطلات معهم حين كنت صغيرة.

ـ أجل.. ودائماً كالقريب الفقير.. ودائماً كان يشار إليّ أمام أصدقائهم كدليل على سخائهم، إلى أن رفضت إظهار مذلة العرفان بالجميل طوال الوقت، وسرعان ما توقفوا عن دعوتي.

وضعت يديها على مؤخرة كرسي، ومالت إلى الأمام وارتسمت ملامح الجد على محياها:

ـ وسيكون الأمر هذه المرة مماثلاً لما سبق يا أمي.. وسأكره كل دقيقة معهما. وأنا واثقة من أنهم يريدون استغلالي.

ـ لكن عمك ساعدنا في دفع مصاريف الكلية لك يا فيليسا، وأنت مدينة له بهذا.

ـ لكنني أقسمت أن أرد له كل قرش دفعه.. وأنا مصممة على أن أفعل هذا. كلما حصلت على عمولة أضع نسبة منها في (مكتب البريد).. غير أنني قد بدأت لتوي..

نظرت السيدة لامب إلى ابنتها بإشفاق، فهي تعرف تماماً كم أضنت نفسها بالعمل، أولاً في الكلية ثم في محاولة تأسيس عمل حرّ لها، تزور السيدات في بيوتهن، لتقدم لهن خدمات التجميل الكاملة.

ـ أجل، بالطبع أعرف.

أضافت فيليسا بإلحاح:

ـ لقد بدأت للتو التحول إلى فتاة مشهورة.. فزبائني ينصحون أصدقائهم بالتعامل معي. وفي حال تغيبت ثلاثة أشهر الآن، سأخسر كل شيء وسأضطر للبدء من جديد عند عودتي. ولا يمكنك الطلب مني أن أفعل هذا بنفسي يا أمي.. فهذا ليس عدلاً!

ـ لست أنا من يطلب منك، بل عمك هاري ويجب أن تعترفي بأنه كان سخياً معنا.. لم يكن مضطراً بعد أن تركنا والدك.

ـ لا.. لكنني كرهت طريقة فعله هذه.. طلب منك أن تلجأي إليه كلما احتجت شيئاً، كي تشعري في كل مرة بأنك تستجدينه. كان يمكنه ببساطة أن يخصص لك مصروفاً شهرياً، كي يترك لك على الأقل بعضاً من كرامة، بحق الله!

كان صوتها مرتفعاً حاداً، مما اضطر أمها أن تقول:

ـ ليس من الضروري أن تتحدثي عنه بهذه الطريقة يا فيليسا. كنت مريضة جداً حين تركنا والدك، ولولا عمك هاري، لكنت ذهبت إلى دار أيتام أو إلى عائلة أخرى، ولكنت خسرتك.

وقفت الأم فجأة لتلتقط أكواب القهوة وتتجه إلى المغسلة وتبدأ بغسلها.

نظرت فيليسا إلى ظهر أمها، إلى شعرها، الذي أخذ يشيب قبل أوانه، بسبب سنوات القلق والعمل.. لم يكن أمامها خيار آخر، وهي تعرف هذا. فإما أن تفعل ما يريده عمها، أو أن تنفصل عن أمها وتترك البيت... وبرغم أنها لم تكن متفقة دائماً مع أمها، ولطالما كانت بينهما خلافات وشجار، إلا أنها لم تكن مستعدة لهجرها. فالعيش مع امرأة تخلى عنها زوجها لم يكن بالأمر السهل، لكن أمها متمسكة بها كثيراً. لذلك كان في نفسها غضب وثورة ممزوجان بالإشفاق نحو أمها.. وانفجرت صارخة:

ـ أوه.. يا إلهي.. كم أكره أن أكون فقيرة!

استدارت الأم بغضب تواجهها:

ـ فعلت ما في وسعي لأجلك، والسماء تعلم!

ـ وأنا أيضاً أعلم.. فقد رددتَ هذا دائماً بما يكفي. لكن هذا لا يمنعني من التمني بأن يكون معنا بعض المال.. أليس كذلك؟

سألتها أمها بنظرة غاضبة:

ـ هل تقبلين عرض عمك أم لا؟

ـ حسناً.. سأسافر. فأنت لم تتركي لي الخيار.. ولأجل السماء لا

www.rewity.com

نقولي إنك واثقة وإنني سأمضي وقتاً طيباً. . فلا أستطيع تصور ما هو أسوأ من ملازمة فريدا وأبويها لثلاثة أشهر!

للحظات، وقفتا وجهاً لوجه بغضب، ثم استدارت السيدة لامب، متوجهة إلى الردهة لتلتقط سماعة الهاتف. . راقبتها فيليسا لحظات أخرى، ثم صعدت إلى غرفتها. . وحين كانت تتسلقُ السلم سمعت أمها تقول:

ـ نعم. . بالطبع يا هاري. . فيليسا تحب كثيراً أن ترافقكم. إنه للطف كبير منك أن تدعوها. . .

كان هاري لامب، على عكس أخيه الأصغر، والد فيليسا، ناجحاً دائماً، بعد أن ورث أعمال بناء صغيرة أوصلته إلى مشاريع مزدهرة بمدخول سنوي ضخم. كان لا يزال يعيش، مع ذلك، في نفس البلد، التي ولد فيها، بلدة أولدهام في مقاطعة لانكشاير وهي منطقة صناعية في شمالي إنكلترا. لكنه الآن يسكن منزلاً كبيراً جداً في أطراف البلدة بدلاً من الكوخ القديم المجاور لفناء مركز عمله. كان قد أرسل بعض المال لتذكرة القطار وأجرة التاكسي لتصل فيليسا إلى منزله.

استقبلتها زوجة عمها وفريدا بلا مبالاة وفتور، وكانتا منشغلتين كثيراً بتوضيب الحقائب وإقفال المنزل. كانوا سيقضون يوماً آخر في إنكلترا ثم يطيرون من مانشستر إلى نيس في وقت مبكر من صباح الغد. وقالت العمة هيلين، بعد وصولها بوقت قصير:

ـ بإمكانك مساعدة فريدريكا في توضيب حقائبها. . أنا واثقة من أن ما لدينا من حقائب لن يكفي. أهناك مكان فارغ في حقائبك؟

ـ لا. . أين عمي هاري؟

ـ إنه في الفناء الخارجي. وأتوقع منه أن يبقى هناك إلىٰ أن ينتهي كل شيء. . لقد ترك الأمر لي. . شأن سائر الرجال!

كانت امرأة ضخمة، على عكس ما يوحي به اسمها، ولطالما تساءلت فيليسا عن مقدار التفاؤل الذي توخاه أهلها في اسمها. لكن على أي حال،

لا يمكن التكهن كيف سيصبح الأطفال الصغار في مهدهم حين يكبرون.

صعدت فيليسا مع فريدا إلى غرفتها لتنظر بشيء من الريبة إلى الحقائب الثلاث الضخمة شبه المليئة الموضوعة فوق السرير. معظم أدراج الخزائن ودرفاتها كانت مفتوحة، وهناك أكوام غريبة من الملابس على الكراسي والأرض. . . وتنهدت فريدا.

ـ لست أدري من أين أبدأ. أمي تقول إن عليّ توضيب كل شيء اليوم، لكنني لا أستطيع تقرير ما يجب أن آخذه معي.

تقدمت إلى خزانة في الجدار، ومدت يدها تمررها على الأشياء التي فيها ثم التقطت فستانين:

ـ أظن أن من الأفضل أن آخذ هذه. . مع أنني لو وضعتها في الحقيبة الآن فستتجعد كثيراً. لكن هذا لا يهم، فأمي قالت إنك ستقومين بكيها حين نصل.

أي إرادة لدى فيليسا لمساعدة ابنة عمها ماتت في المهد.

ـ أوه. . أهذا ما قالت؟

التقطت كومة من الملابس الداخلية عن كرسي وألقت بها أرضاً، ثم جلست مكانها، تضع ساقاً فوق أخرى:

ـ ألن تأخذي بعض البنطلونات معك؟ . . يجب أن تضعي تلك في أسفل الحقيبة. .

أخذت وهي جالسة تقول للفتاة الأخرى ماذا تفعل. فقد كانت خبيرة جداً بالتعامل مع فريدا، كل ما عليها أن تفعل هو إعطاؤها تعليمات مستمرة غير معقدة لتنفذها بسعادة، وهذا متأصل في نفسها بسبب دراستها في مدرسة داخلية دينية.

راقبت فيليسا ابنة عمها وهي توضب ملابسها في الحقائب، محاولة تحديد ما قد تغير فيها منذ آخر مرة أقامت هي وأمها في لندن مستخدمة منزلها ومنزل أمها كفندق مجاني. أكثر ما لاحظته أن فريدا كانت أكثر نحولاً. إلا أنها، كأمها، كان مقدراً لها أن تكون ضخمة، فهي طويلة

www.rewity.com

جداً، تصل المائة وخمسة وسبعين سنتمتراً، تقارب طول فيليسا، إلا أن الأخيرة كانت ممشوقة القوام، أنيقة البنية، بينما فريدا خشنة العظام تميل إلى السمنة عادة، لكنها الآن لا بد وأنها خسرت الكثير من الوزن، وهذا لا يناسبها.. فقد بدت هزيلة. سألتها فيليسا:

ـ أكنت مريضة؟

ـ لا.. أوه لقد لاحظت نحولي.. كنت أتبع حمية صارمة في مؤسسة صحية.

لكن فيليسا فكرت أنها بعيدة جداً عن الصحة، كما أن هناك آثار تهرب في صوتها وكأنما تخفي شيئاً في نفسها. وبنظرة فاحصة لاحظت فيليسا كذلك أنها صففت شعرها بطريقة أكثر تكلفاً، فقد صبغته ليكون أكثر شقرة. كانتا معاً في الحادية والعشرين من عمرهما. غير أن فيليسا تكبرها بستة أشهر، لكن بيئتيهما المختلفتين جعلت كلاً منهما تتطور بشكل مغاير للأخرى. بحيث بدت فيليسا أكبر سناً بكثير من فريدا. لكنها الآن أخذت تفكر في ما إذا كانت ابنة عمها قد بدأت تعوّض هذا الفارق في شخصيتها. كما أنها لاحظت أن هناك نوعاً من الإثارة في تصرفاتها، وقررت أن تكتشف السبب.

تقدمت لتجثو أمام علب كبيرة على الأرض تحمل اسم صانع شهير، وفتحتها:

ـ ماذا لديك هنا؟

بدأت تنزع طبقات الورق الشفاف العليا، لكن فريدا أسرعت نحوها، وانتزعت العلبة منها.

ـ لا تلمسي هذا.. إنها ثيابي الداخلية الجديدة.

ـ حقاً؟ ولماذا لا يمكنني رؤيتها؟ أرني إياها يا فريدا

ـ لا.. إنها.. خاصة.

لكن لم يطل الأمر كثيراً مع إقناع ممزوج بالترهيب، حتى ركعت فريدا إلى جانبها على الأرض وأخرجت الثياب من العلبة قطعة قطعة.

حبست فيليسا أنفاسها وذُهلت لمرأى الملابس الرقيقة الحريرية باللون الزهري الشاحب وذات الحواشي من أرقى أنواع التخريم، التخريم الحريري الحقيقي..

مدت فيليسا إصبعها تلامس التطريز الحريري:

ـ يا إلهي يا فريدا.. كم هي جميلة! لا بد أنها كلفت ثروة.. هل هي هدية؟

ـ تقريباً. اشترتها أمي لي، وأشياء كثيرة أخرى.. فأنا أحتاجها.. كما ترين لفرنسا.

نظرت إليها فيليسا بحدة، تلاحظ التردد.

ـ لكنك كنت في فرنسا من قبل لقضاء العطلات.. أليس كذلك؟

ـ أجل... هذه المرة.. حسناً.. مختلفة.

ـ في أي شيء؟

حاولت فريدا أن تبدو خجولة، لكن محاولتها لم تنجح، وبدت سخيفة فقط:

ـ حسناً.. في الواقع.. سأقابل شخصاً هناك أعرفه.

لم تكن بحاجة لأن تخمّن:

ـ رجل؟ فريدا.. أيتها الماكرة! لا تقولي إنك وقعت في الحب؟ من هو الرجل المحظوظ؟

ابتسمت بخبث لفريدا التي نظرت إليها بتردد دام لحظات، لكنها لم تتمكن يوماً من معرفة متى تسخر منها فيليسا، واطمأنت لابتسامتها، فأخذت تقص عليها القصة بسعادة.

ـ أوه.. هذا رائع.. إنه لا يصدق فعلاً! التقاه أبي خلال العمل، وجاء به إلى هنا لتناول الطعام في إحدى الأمسيات.. وتولهت به فوراً.. إنه جميل المظهر جداً، وأحبته أمي وأبي كثيراً.

لمع خداها باحمرار الاهتياج وهي تتابع بشوق:

ـ وفي المرة التالية التي جاء فيها إلى هنا، دعاه والدي ليقيم معنا،

www.liewity.com

يومها عرفته جيداً.

- إذن، فهو ليس من الجوار؟

- لا.. إنه يعيش في لندن. ويشغل منصب المدير الإداري لشركة مالية كبيرة هناك، كما أنه ناجح جداً، كما يقول أبي. اشترى لوالدتي مزهرية من الكريستال الجميل كهدية لأجل إقامته هنا، مع أنه لم يبقَ سوى يومين. كان بالطبع يرغب في الإقامة أكثر، لكن شيئاً ما حصل واضطر للعودة بسرعة. وكان آسفاً حقاً لاضطراره إلى السفر، هو قال هذا. وأرسل إلى أمي كلمة شكر ساحرة مع المزهرية. إن أخلاقه مكتملة، ونحسين فعلاً بالأنوثة وأنت معه.. أتفهمين ما أعني؟ يجعلك تحسين أنك سيدة.. يقف حين تدخلين، ويفتح لك باب السيارة وما إلى ذلك.

نظرت فيليسا إلى ابنة عمها بذهول وهي تتوقف عن الكلام لاهثة، لم تكن لتظن أنها سمعت فريدا يوماً تتحدث بمثل هذا الحماس عن أي شيء من قبل.. وبكل تأكيد حتى عن الحب، مع أنها كانت قد وقعت في وله بنات المدارس من قبل. وقالت لها:

- يبدو لي مذهلاً. لكنك لم تقولي لي اسمه أو كم عمره.

- اسمه براندون هاثيون، وفي الثانية والثلاثين.

- براندون؟ ما هذا الاسم؟

- إنه اسم عائلي قديم.. كما أنك لا يجب أن تضحكي من أسماء الآخرين ولك اسم غريب مثل تراسيفيليسا.

مرة أخرى لعنت فيليسا والديها سراً لاختيارهما هذا الاسم لها، وقالت:

- لا.. أنت محقة. ربما يكره هذا الاسم هو أيضاً.. أتناديه براند؟

هزت فريدا رأسها:

- إنه ليس من النوع الذي له اسم مصغّر.

نظرت فيليسا إليها متأملة، حتى مع حماستها الطبيعية الزائدة عن الحد، يبدو لها الرجل «القطة».

- ألست مخطوبة له؟

احمرّ وجه فريدا.

- لا.. ليس بعد.

- لكن، لعلك تعرفينه جيداً لتدبري معه أمر السفر في عطلة.

مرة أخرى ازداد احمرار وجه فريدا:

- حسناً.. نحن لن نسافر معاً في الواقع.. لديه يخت يستبقيه في مونت كارلو، ونحن استأجرنا فيلا في «كاب مارثان» خارج مونت كارلو.

- لكنك دبرت أمر لقائه هناك؟

- حسناً، في الواقع.. قالت أمي اننا سنكون هناك، وقال إنه سيأتي ليصطحبنا جميعاً في رحلة في مركبه.

حدقت فيليسا بها:

- كم مرة بالضبط التقيت به؟

- قلت لك إنه جاء للعشاء ثم أقام عندنا.

- وكم مرة بالضبط خرجت معه؟

- دعاني للعشاء في ثاني أمسية أقام فيها هنا.. أخذني إلى أفخم مطعم في مانشستر.

- لوحدك.. أم مع والديك؟

- حسناً.. في الواقع...

- كلكم.. أليس كذلك؟ وعلى أساس هذا ستلحقين به إلى جنوب فرنسا؟ أنت والعمة هيلين، والعم هوارد أيضاً. تستعدون لملاقاته! أوه.. يا إلهي يا فريدا! ولهذا كل هذه الملابس، أليس كذلك؟

وقفت فريدا غاضبة:

- وماذا في ذلك؟ قالت لي أمي أن لا أخبرك بأمره.. لكنني ظننتك ستتفهمين.. ليست غلطتي أنني لم أره كثيراً، إنه يعمل ويعيش في لندن. وقد اتصلت به هاتفياً لأدعوه إلى عيد ميلادي، لكنه لم يستطع المجيء بسبب اضطراره للسفر إلى أميركا في رحلة عمل.. وكيف لي إذن أن أراه

www.rewity.com

مرة أخرى بغير القبول بعرضه أن ألقاه في فرنسا؟

ـ ما من طريقة أخرى كما أعتقد.. لقد وقعت في حب هذا الرجل حقاً.. ألبس كذلك؟

ـ وإن يكن؟

ـ لا تنظري إلي هكذا.. فأنا إلى جانبك، فإذا كنت حقاً تحبين هذا الرجل، براندون هاثيون، وتريدين الزواج منه، سأساعدك بكل ما أستطيع.

كانت فيليسا تعني ما تقول، فبطريقة ما كانت تشعر بالأسى على فريدا. فليس ما يدعو للحرج دائماً أن تكون الفتاة الابنة الوحيدة لأبوين ثريين طموحين اجتماعياً، يدفعانها لتكون على النحو الذي يريدانه: أن تنضم إلى كل النوادي الراقية والجمعيات، أن تختلط بالأشخاص المناسبين، وأن لا تضع قدماً في مكان خاطىء. إنه نوع من الحياة قد يدفع فيليسا إلى التمرد بعد شهر.. لكن فريدا، كانت تحاول دائماً أن تفعل ما في وسعها لإرضاء أبويها، وتبدو قانعة كفاية.. لكنها حتى الآن كانت تفتقد جذوة النشاط، وهي دائماً بسيطة وغبية. إلا أنها اليوم تبدو أكثر حيوية مما تعرفها فيليسا، وإذا كان لقاؤها مع براندون هاثيون قد فعل فيها هذا، فعلى فيليسا أن تشجع هذه القصة.. كما أن هذا سيعطيها دفعاً في تعاملها مع عمها هاري.

كما تكهنت زوجة عمها، لم يدخل العم هاري إلى المنزل حتى وقت العشاء، وبعد أن انتهى معظم العمل في التوضيب.. هو كذلك كان رجلاً ضخماً.. قد يبدو للوهلة الأولى متفوقاً في الحجم على العمة هيلين.. وكان يحب أن يعتبر نفسه سيد منزله، وهذا ما تتركه زوجته وابنته يفعل إلى أن تريدا شيئاً. بعد العشاء أعلن أن لديه بضع رسائل عليه كتابتها في اللحظة الأخيرة، وذهب إلى مكتبه. وعبست العمة هيلين بنفاذ صبر، لكنها لم تحاول منعه، وبعد عشر دقائق لحقته فيليسا إلى المكتبة، دقت الباب بخفة قبل أن تدخل، لتضبطه وقدماه فوق الطاولة، وغليونه متأجج

بين يديه، ولا أثر للرسائل أمامه.

ارتبك قليلاً لدخولها، وأنزل قدميه بسرعة، لكن فيليسا جلست على كرسي في مواجهته وقالت بلطف:

ـ لا بأس عليك، لن أشي بك، فلا شأن لي إذا تسللت إلى هنا هرباً.

كلمة التسلل لم تعجبه فنظر إليها عابساً:

ـ ماذا تريدين؟

قالت بوقاحة، طارقة صلب الموضوع:

ـ أريد أن أعرف بالضبط كم ستدفع لي وأنا أعمل لك.

ـ تعملين لي؟ لكنك لن تعملي لي.. نحن نعطيك فرصة إجازة.

ـ أوه.. لا.. سبب سفري معكم هو أن أبقي فريدا والعمة هيلين كلوحتين رائعتين: أصفف شعرهما، أكمل لهما زينتهما، وأعتني بملابسهما.. وإذا كنت سأفعل كل هذا.. فأنا أريد أجراً.

ـ يبدو أنك نسيت يا فتاتي، أنني أدخلتك الكلية لتحصلي على شهاداتك. ويبدو لي أن أقل ما يمكن أن تفعليه هو مساعدة زوجة عمك وابنتي.

ردت ببرود:

ـ لم تدخلني الكلية.. كل ما فعلته أنك أعطيت أمي بعض المساعدة في وقت كانت لا تعرف فيه أين تذهب.. حتى أنني أراهن على أنك كنت تدعي أننا من الأقارب المعتمدين عليك لتتهرب من الضرائب.

بدا هاري لامب مرتبكاً قليلاً.. وعرفت فيليسا أن ظنها في محله.. لكنه قال بحرارة:

ـ تدركين أننا سندفع أجرة سفرك، إضافة إلى تأمين طعامك ومكان إقامتك.. وسيكون لك الكثير من أوقات الراحة.. فماذا تريدين أكثر من هذا؟

ـ أجري.. أنت مضطر لدفع أجرة خادمة.. وهكذا يمكنك الدفع لي.

www.rewity.com

حدق بها مرة أخرى بذهول، فهو يكره أن تهدده فتاة كان يظنها ضعيفة، لكنه كان رجل أعمال محنكاً وخبيثاً ليعرف متى سيخسر:

ـ حسناً. إذا كنت ناكرة للجميل إلى هذا الحد لما قدمته لك، وما نفعله الآن لأجلك، سأعطيك عشر جنيهات في الاسبوع.

ارتفع حاجباها، ثم تنهدت:

ـ لنكن منطقيين.. أتسمح؟ أنا خبيرة تجميل محترفة ومصففة شعر، والعمل مع فريدا والعمة هيلين لن يكون سهلاً.. وأجري هو مائتي جنيه في الاسبوع وأريده مقدماً.

ـ ماذا؟ أنت مجنونة!

ـ وهل أنا مجنونة حقاً؟ حين أذهب إلى بيت أي زبونة لأعطيها علاجاً خاصاً للتجميل، لا أتقاضى أقل من أربعين جنيهاً لقاء الزيارة الواحدة. وعلى أساس هذا الشرط لن أعطي أكثر من خمس معالجات في الاسبوع مقسمة بين فريدا والعمة هيلين. وأنا أراهن على أنهما تريدان أكثر بكثير من هذا، ثم إن هذا الأجر لا يشمل العناية بملابسهما.

نظر العم هاري إليها بذهول:

ـ أتتقاضين فعلاً أربعين جنيهاً لقاء جلسة تجميل واحدة؟ لكن، لا تظني أنني سأدفع لك بهذا القدر، لن أدفع، وهذا نهائي.

ـ أوه.. لكنني أعتقد حقاً أنني أستحق هذا القدر.. خاصة... الآن وفريدا تحاول اصطياد زوج ثري... فأنت على أي حال تريدها أن تظهر في أفضل حالاتها أمام براندون هاثيون، أليس كذلك؟

تمتم بمرارة:

ـ يا للنساء.. لا يستطعن كتم شيء في أنفسهن لدقيقتين! حسناً لكن هناك شرط واحد على كل هذا.. لقد أخبرتك فريدا عن هذا الرجل الذي تهواه بالرغم من أنني قلت لها أن لا تفعل.. حسناً، أريد وعداً منك بأن تبقي بعيدة عنه.. لا أريدك أن تتدخلي. إنها تريد براندون هاثيون، وسأفعل ما في وسعي لكي تحصل عليه.. فريدا ليست جميلة

جداً، وأعرف هذا. بينما أنت...

مرّت عيناه على وجهها الساحر، وشعرها الأحمر الطويل وجسدها الرشيق، ثم تنهد مكملاً:

ـ حسناً.. تعرفين ما أعني.. أريد وعداً منك بأن لا تحاولي إفساد خطط فريدا مع هذا الرجل، وأنك لن تتدخلي.

للحظة رقت مشاعر فيليسا نحوه، فبرغم كل أخطائه كان العم هاري يحب ابنته.. لكنها سرعان ما تذكرت كيف تخلى شقيقه الأصغر، والدها، عنها وعن أمها، وامتلأ قلبها بمرارة غيورة حقودة. فهزت كتفيها:

ـ أنا لست أفتش عن زوج ثري، إذا كان هذا ما تعني.. فأنا أفضل الوصول إلى حيث أريد بجهدي الخاص.

لاحظ التهكم، لكنه فضّل تجاهله:

ـ أريد وعدك.

ردت ببرود:

ـ حسن جداً.. لك وعدي.

أشار بإصبعه نحوها:

ـ جيد.. وسأتوقع منك ما يستحقه مالي، انتبهي!

ضحكت وهي تقف:

ـ أنا واثقة تماماً من أن العمة هيلين ستتأكد بنفسها من هذا!

صعدت لتنام بعد وقت قصير، وتمددت مستيقظة لفترة، لا تتطلع بحماس إلى الثلاثة أشهر القادمة، لكنها سعيدة لأنها انتزعت بالقوة بعض المال من العم هاري، مع أنه سيكون مذهولاً حين تنتهي الرحلة وتعيد إليه القسم الأكبر مما سيدفعه لها لتسديد ما دفعه لها ولأمها خلال دراستها، براندون هذا لا شك في أن يكون لديه شيء مميز ليصيب فريدا والعمة هيلين بمثل هذا الجنون، وسيكون مثيراً للاهتمام أن تراه لحماً ودماً، حتى ولو اضطرت إلى الابتعاد عنه.. والأكثر إثارة للاهتمام أن تعرف ماذا يشعر

www.rewity.com

تماماً نحو ابنة عمها. . تنهدت وهي تدير رأسها إلى الوسادة، هذا هو الشيء الوحيد الذي كانت تتوق لرؤيته بحماس خلال هذه العطلة الطويلة، التي يبدو أنها ستمتد إلى ما لا نهاية.

للعم هاري سمعة الحرص على ماله، لكن كان على فيليسا أن تعترف، حين شاهدت الڤيلا التي استأجرها للاصطياف أنه لم يضن بشيء هذه المرة. كانت الڤيلا مكاناً جميلاً، تقع على قمة أكمة صخرية للكاب مارتن المطل على خليج موناكو الأزرق الواسع وعلى ناطحات سحاب مونت كارلو. عمر الڤيلا لا يقل عن مائة وخمسين عاماً، كانت في الأصل مبنية لأميرة منفية من بلادها، عاشت حياة اجتماعية مريحة أكثر في هذا الجو الدافيء. في الخارج كانت هناك حديقة تظللها أشجار وشجيرات غريبة غير مألوفة، وبركة سباحة، وسلم مع عدة فسحات تتخلله، تقود إلى الشاطيء عند أسفل الأكمة الصخرية.

بعد تفقد كل المنزل من القمة إلى الأسفل، وإلقاء نظرة على مدى قربه من مونت كارلو، أعلنت العمة هيلين أنه «مناسب» واهتمت بتوزيع الغرف. ونالت هي والعم هاري أفضل الغرف المطلة على البحر، وفريدا التالية لهما، وأعطيت فيليسا غرفة الخادمة في مؤخرة المنزل، لأنهم سيحتاجون إلى الغرف لاستقبال الضيوف.

قالت العمة هيلين وهي تعطي الأوامر لفيليسا:

ـ كل الثياب بحاجة إلى كي لإزالة التجعيد منها، ثم سنحتاج إلى تصفيف شعر قبل الذهاب إلى الكازينو الليلة. وأنت يا فريدريكا، من الأفضل أن تحاولي النوم بضع ساعات. . لا أريدك أن تظهري متعبة حين نخرج الليلة. . هيا. . اذهبي. ستفرغ فيليسا بقية ثيابك فيما بعد.

صعدت الفتاتان معاً إلى فوق، وبطاعة عمياء خلعت فريدا ملابسها واستلقت على السرير، بينما التقطت فيليسا الملابس التي تحتاج إلى كي:

ـ أي منها سترتدين الليلة؟

ـ أردت أن أرتدي الأسود الجديد. . أتظنينه مناسباً؟ إنه ليس أنيقاً

كثيراً. . أليس كذلك؟

أمسكت فيليسا الثوب الذي أشارت إليه، كان فستاناً من الحرير الأسود الضيق، له عقدة متعددة الألوان وكأنها جناحا فراشة في مؤخرته. كان فستاناً رائعاً ولا بد أنه كلّف ثمناً باهظاً. لكن، حتى دون رؤيتها ترتديه، عرفت فيليسا أنه لن يناسب فريدا. فسألتها بحذر:

ـ هل هناك مهرجان خاص، أو شيء من هذا القبيل في الكازينو؟

ـ أوه. . لا. . إنها أمسية عادية.

ـ إذن لماذا لا تستبقين هذا لمناسبة خاصة، وترتدين واحداً مختلفاً لهذه الليلة؟ هذا مثلاً.

وأبرزت فستاناً طويلاً جميلاً أزرق اللون. لكن فريدا رفضته على الفور:

ـ أوه. . لا. هذا فستان قديم. . أريد أن أرتدي شيئاً جديداً. . فأنا أريد أن أترك انطباعاً خاصاً.

نظرت فيليسا إليها بسرعة:

ـ هل سيكون هناك؟ أعني صديقك؟

احمرت وجنتا فريدا، وردت بارتباك:

ـ هذا ما نأمله. . لقد قام والدي بتحقيقات ونعلم أنه هنا في فرنسا. ومعظم الناس يذهبون إلى الكازينو في أكثر أمسياتهم.

أكملت بسذاجة أذهلت فيليسا:

ـ وإذا لم يكن هناك، تقول أمي، قد نذهب إلى الميناء لنرى إذا كان على متن يخته. . لذلك أظن أنني يجب أن أرتدي الثوب الأسود.

ـ حسن جداً، إذا كان هذا ما تريدين. ما اسم مركبه؟

ـ اسمه (تشيميرا)، اسم قديم أليس كذلك؟

وافقت فيليسا معها وتركتها لقيلولتها.

كان هناك غرفة غسيل فيها معدات رائعة في القبو، حيث علقت فيليسا الملابس على مشاجب خشبية، وبدأت كيها بحذر. وأثناء عملها، كانت

www.rewity.com

تبتسم لنفسها، تفكر بأن براندون هاثيون هذا، لن تكون له فرصة أمام جبهة عائلة لامب المتحدة. وكادت تحس بالأسى للرجل المسكين، لولا أنها تريده أن يسرع في خطبة فريدا كي يتمكنوا بقليل من الحظ أن يعودوا إلى إنكلترا في وقت مبكر.

عملت طوال بعد الظهر، بعدها سرحت شعر الاثنتين، وبطراز غير عصري طلبتاه، ثم برجت وجهيهما. كانت بارعة في عملها، ومع الماكياج استطاعت إخفاء مظهر الكآبة والهزال الذي خلفته المبالغة في الحمية على وجه فريدا، لكن ما من شيء يمكنه إخفاء البنية العظمية الضخمة لكتفيها المكشوفتين تحت ثوبها الأسود، مع ذلك، فهذا ما تريده وتشعر جراءه بالارتياح.. واستدارت فيليسا إلى العمة هيلين، وفعلت ما تستطيع لإخفاء ذقنها المثلث، كانت هي في حاجة إلى الاستفادة من المؤسسة الصحية وليس فريدا.

غادروا الڤيلا في الثامنة، ينوون تناول العشاء في المطعم قبل ارتياد الكازينو.. لوحدها، أفرغت فيليسا أمتعتها، ثم نزلت إلى المطبخ لتحضير شيء تأكله.. كان هناك الكثير من الطعام، اشتروه جاهزاً استعداداً لوصولهما. فساعدت نفسها بحرية لتأكل من علبة كافيار وبعض الباتيه، ومعظم الأصناف الثمينة التي وجدتها فوق صينية، حملتها إلى غرفة الطعام الضخمة، حيث حضرت لنفسها مكاناً عند رأس المائدة الأثرية الطويلة المصقولة. ثم صعدت إلى غرفتها لتغيير ملابسها وتصفيف شعرها وتزيين وجهها، ثم نزلت لتتعشى وحدها.. إذا لم تكن قادرة على الانضمام إليهم، فستفعل ما في وسعها لهزمهم!

لكن، حتى بهجة التجديد التي يحس بها المرء لتناوله الطعام في محيط براق مصقول، سرعان ما تتلاشى حين يكون المرء وحيداً تماماً. جذبت الأضواء التي كانت تتلألأ من بعيد فيليسا إلى الشرفة حيث نظرت عبر الخليج إلى الخط الساحلي البراق لمونت كارلو، الذي زاده إشراقاً، انعكاس الأنوار في البحر الرقيق الساكن. وبرهنت هذه الأنوار المتلألئة

أنها أبعد من أن تقاوم، وما هي إلا عشرون دقيقة حتى كانت فيليسا تستقل الباص، تنظر بشوق خارج نافذته وهو يشق طريقه ببطء عبر «الكورنيش» الأسفل، باتجاه مونت كارلو.

أوصلها الباص عند أقدام الصخرة المضاءة بأنوار ساطعة وكان يقوم فوقها القصر الأميري.. وبشكل آلي، أخذت تتسلق الدرج الطويل الذي يقود إلى القمة. كان حولها الكثير من الناس، معظمهم من السواح، يقومون بالتنزه بعد وجبة العشاء، أو لا زالوا يتعشون في المقاهي العديدة الصغيرة في البلدة القديمة عند قمة الصخرة.. وقفت فيليسا مع الجموع تتأمل القصر، ثم جابت محلات التذكارات لساعة أو يزيد قبل العودة إلى البلدة الرئيسية.

يقع الكازينو الشهير بعيداً قليلاً، في الجانب الآخر من المرفأ. فيما كانت تسير نحوه مرّت بعدة شبان، في مجموعات يجوبون البلدة بحثاً عن الفتيات. معظمهم حاول اجتذاب اهتمامها، حتى أن أحدهم تقدم منها ليمسك بذراعها. لكنها كانت تعرف كيف تعتني بنفسها، فأبعدته متجاهلة تماماً الآخرين، فهي ليست في مزاج يسمح لها باللهو. قبالة الكازينو كانت هناك ساحة، فجلست فيها لبعض الوقت، تراقب الناس وهم يدخلون الفنادق القريبة ويخرجون منها وموظفو الاستقبال يهرعون لفتح أبواب الرولز رويس والمارسيدس، تساءلت عما إذا كانت سترى عمها وزوجته وفريدا، وضحكت في نفسها لتصورها ما سيحل بوجوههم لو صادفتهم وهي تدخل الكازينو معهم.. لكن الوقت مرّ دون أن تراهم، والآن يجب أن تغادر المكان لأن رجلاً اقترب منها ليحدثها بالفرنسية، واضح أنه يراودها عن نفسها، فرفعت رأسها إليه، بشعرها الأحمر كلهب النار على ضوء المصباح، وعادت سيراً إلى الميناء، تسرع الخطى، وكأنها حددت مكاناً تذهب إليه. فمن الخبرة كانت تعرف أن الرجال لا يلاحقون امرأة إذا سارت بتصميم.

عندما وصلت إلى المرفأ خففت سيرها، وأخذت تسير الهوينا،

www.lewifa.com

وتنظر بعجب إلى حجم اليخوت الخاصة هناك.. وأكملت سيرها دون وعي تبحث عن مركب اسمه (تشيميرا) إلى أن وجدته على بعد مائة يارد في ظل صخرة ناتئة وداخلة في البحر. لكن «التشيميرا» لم يكن أكبر اليخوت حجماً في الميناء، بيد أنه كبير بما يكفي... سلمه الخشبي كان موصولاً إلى اليابسة، والأنوار تشع من كل نوافذه، نظرت فيليسا من حولها لا تريد الاقتراب كثيراً خشية أن يكون أقاربها على متنه، فوجدت سلماً محفوراً في الصخر يقود إلى الطريق العليا. فتسلقتها لتقف في ظل شجرة قائم، لتجد أمامها منظراً مكتملاً لليخت من تحتها. كانت هناك مجموعة من بضعة أشخاص على متنه يجلسون في دائرة يبدون وكأنهم أفراد ممن تدعوهم الصحافة الطبقة المنطلقة: كلهم أنيقون، جميلو المظهر، يرتدون ملابس أنيقة الطراز مكتوب عليها المال، يختلفون تماماً عن العم هاري والعمة هيلين اختلاف الجبنة عن الطبشور.

استندت إلى الحاجز الحديدي، تراقبهم عن كثب. كان هناك أربعة أشخاص، رجلان وامرأتان. استقامت فيليسا لتصغي، لكن كان هناك صوت راديو يصدح بالموسيقى خلفهم بحيث لم تستطع أن تسمع شيئاً. أحد الرجلين دخل القمرة، أما الآخر فكان طويلاً أشقر الشعر قسماته وسيمة بطريقة أرستقراطية. كان جالساً على كرسي بدخن ويبدو ضجراً. بالرغم من محاولات إحدى الامرأتين الواضحة لإشغاله.. أيمكن أن يكون هذا هو براندون هاثيون؟

لكن الموسيقى انتهت فجأة، وسمعت إحدى الامرأتين تقول شيئاً، وتضيف اسم براندون.. بعد لحظة خرج الرجل الآخر من القمرة إلى الضوء الساطع على المتن، إنه هو، كان طويلاً، يبلغ المائة وخمسة وثمانين سنتمتراً تقريباً، لكن هنا يتوقف شبهه بالرجل الآخر. أول انطباع كونته فيليسا هو السلطة المسيطرة، الجسد الرشيق، قوة العضلات، ونشاطه وحيويته. كان عريض المنكبين ويرتدي سترة سهرة بيضاء، صوته العميق معتاد على إعطاء الأوامر أكثر من تبادل الحديث الخفيف.. كان

وسيم الطلعة.. جداً.. له شعر أسود وقسمات وجه مكتملة متوازنة، لكن، هناك قسوة وتصميم في فكه البارز الثابت وذقنه المرتفع، وكانت العجرفة تظهر في طريقة رفعه لرأسه.

حبست فيليسا أنفاسها.. إذن هذا هو براندون هاثيون! يا للسماء! لا عجب إن وقعت فريدا في حبه! لكنها أحست بغصة إشفاق على ابنة عمها.. إنه رجل يستطيع أكل فتاة مثل فريدا على الفطور.. وفي إمكانه تحطيم قلبها دون أن يبالي!

* * *

www.rewity.com

٢ ـ امرأة من لهب

كانت المرأة التي نادت براندون هاثيون تتكلم وتشير إلى الرصيف تابعت فيليسا إشارة يدها ولحقت بأقاربها الثلاثة لتراهم يتقدمون نحو اليخت. كانوا يسيرون وفريدا في الوسط، مثل فيلين يقودان صغيرهما، آخذين الكثير من الحجم حتى أنهما كادا يسدان الطريق.

ـ اللعنة!

الشتيمة التي تثير الذهول دفعت أذني فيليسا للتنصت بشكل واضح جداً لكنها لم تفهم ما قاله الآخرون حين مالوا إلى براندون هاثيون ليسألوه عن سبب شتيمته.

أحست فيليسا فجأة بالغثيان، فقد أدركت لتوّها أن الرجل غير مهتم بابنة عمها مطلقاً. وكانت تشك في ذلك منذ البداية، لكن لأجل فريدا، أملت أن لا يكون الاهتمام من جانب واحد فقط. غير أنه ليس هناك أي دليل حب في ردة فعل براندون، ولا حتى السرور لرؤية معارف له، فقط الانزعاج.

باقتراب الثلاثة، تراجعت فيليسا إلى ظل الشجر، إنها لا تريد أن يروها، كانت تود أن ترحل الآن، لا تريد رؤية ولا سماع المزيد، لكنها كانت مضطرة للبقاء حيث هي.

العمة هيلين كانت أول من تكلم مستخدمة أفضل لهجة إنكليزية تشابه لهجة مذيعي الـ ب ب سي.

ـ براندون! ما هذه المفاجأة السارة! لم يكن لدينا فكرة أنك هنا... هل هذا هو مركبك؟

تقدم عبر المعبر الخشبي لتحيتهم، لكنه أمام دهشة فيليسا لم يفضح

شيئاً من انزعاجه السابق:

ـ سيدة لامب.. كما قلت، ما هذه المفاجأة السارة. سيد لامب، فريدريكا.

صافحهم واحداً واحداً ثم سأل:

ـ متى وصلتم؟

رد العم بدمائة:

ـ قلت لك أن تناديني هاري. لسنا هنا منذ زمن بعيد. لا زلنا نتعرف على ما حولنا.. هذا مركب جميل.

ـ ربما ترغب في الصعود والتفرج عليه؟

لم يكن لدى براندون هاثيون خيار آخر، لكنه دعاهم بأدب.. وصعب على فريدا أن تسير عبر السلم الخشبي بكعب حذائها العالي وتنورتها الضيقة، مما اضطر براندون إلى مساعدتها. ثم رأته فيليسا يقدم الزوار الجدد إلى أصدقائه، ويجلب لهم الشراب. وأخذ الجميع يتحدث بالانكليزية ولم تعد الموسيقى تعزف، لكن فيليسا تعمدت أن لا تسمع، مع أنها استطاعت سماع ضحكة فريدا المتوترة، مما جعلها غاضبة على براندون هاثيون وعلى فريدا بالذات لغبائها... فهل هي مسلوبة اللب إلى درجة أن لا ترى أن الرجل بعيد عن جوها؟ فالعم هاري عمل ما في وسعه ليكون مليونيراً، لكنه لا زال من الطبقة العاملة الريفية الشمالية في أعماق نفسه. بينما كل سيماء على وجه براندون هاثيون، من رأسه المرتفع بتعجرف حتى حذائه اللماع، كانت تصرخ بأرفع المدارس وأفضل الجامعات، والثقة الكاملة بالنفس التي لا يمكن أن يعطيها للمرء سوى المال الموروث. أما أصدقاؤه فقد كانوا جالسين على استعداد للتسلي، وكأنما اللامب الثلاثة مجرد نِمْرة غير عادية في «كاباريه» تقام على شرفهم.

استدارت فيليسا بغضب، راكضة نحو الضوء تصعد التل، بعيداً عن المركب. كان الطريق يضجُّ بزحام السير، وهناك الكثير من الناس ممن

www.rewity.com

يتجولون، مع أن الوقت متأخر جداً. . بعد السير دون هدف لبعض الوقت، أحست فيليسا بالعطش، فجلست على إحدى الطاولات وطلبت القهوة. كانت لا زالت غاضبة وتحاول جاهدة أن تكبح غضبها فعلى أي حال، لا شأن لها في أن أقاربها يحاولون استغفال أنفسهم. من نظرتها إلى براندون هائيون عرفت أنه قادر على الانقلاب رأساً على عقب وأن يقول لهم أن يغربوا عن وجهه حين لا يعود قادراً على تحمل سخافاتهم. ومن الطريقة التي ظهرت فيها ردة فعله أول ما شاهدهم، لا بد أن يضيق ذرعاً بهم عاجلاً. ربما سيفعل هذا بأدب، وأملت فيليسا هذا، صحيح أن العمة هيلين تميل لأن تكون سمجة أحياناً لكن هناك طبع قاسٍ في تصرفات براندون هائيون لن يجعله يتردد في صد أي شخص حين يريد.

كلما فكرت به أكثر؛ كلما كرهته أكثر، لا بد أن يدرك بأن فريدا واقعة في حبه، ولا شك أنه كان قادراً على أن يفعل شيئاً ليوقفها عند حدها بدل أن يقدم الدعوات جزافاً للقائه في فرنسا. واضح أنه مجرّب بما يكفي ليعرف كيف يتعامل مع النساء، حتى مع غبية مثل فريدا. وكان يمكن له أن يصدّها بخفة ولطف لو أراد. فيليسا لم يكن لديها في الواقع الوقت الكافي للتعامل مع الرجال وفي أفضل الأوقات، ولطالما أحست أن عليها استغلالهم قبل أن يستغلوها، وبراندون هائيون هذا يقف أمامها متحدياً. . وكانت مسرورة أن جعلها العم هاري تعد بأن تبتعد عن طريقه، فكلما قلّت رؤيتها له كلما كان ذلك أفضل.

أنهت قهوتها منذ فترة، وجاء الساقي ليسألها ما إذا كانت تريد شيئاً آخر. دفعت له الحساب وعادت أدراجها من الطريق الذي جاءت منه، لا تريد أن تضيع في زحام الطريق، باقترابها من الميناء حاذرت أن تبقى في الناحية الأخرى للطريق إلى أن وصلت السلم الحجري البعيد بما يكفي عن الشيميرا. . نزلت السلم وسارت فوق رصيف الميناء، وكان رجل مترهل سمين يترنح مقترباً منها، يغنّي لنفسه ما بين خطاب هذياني يلقيه وآخر. نظرت فيليسا إليه بقرف والتصقت بجدار الرصيف لتدعه يتجاوزها لكنه

شاهدها وتوقف. ثم تقدم منها.

ـ آه. . كم أنت جميلة حبيبتي.

حاولت تجاوزه، لكنه أمسك بذراعها مخرجاً «حازوقة» قوية في وجهها قائلاً بلكنة فرنسية:

ـ تحاولين الهرب مني يا مغفلة!

أمسكها بقوة وجدت من المستحيل عليها الخلاص منه. وصاح آمراً:

ـ قبليني جميلتي.

وأسندها إلى الجدار محاولاً عناقها، فرفسته على عظم ساقه:

ـ اتركني!

فصاح متألماً ساخطاً، لكنه لم يتركها، فأخذت تضربه على وجهه:

ـ ابتعد عني. . اللعنة عليك!

صاح بغضب، ورفع ذراعه محاولاً صفعها. . لكن وهو يفعل هذا، أمسك أحدهم بذراعه، وشده بحدة إلى البعيد. وحين كان يهوي، وهو يتطوح أصاب ذراعه الآخر فيليسا فرماها أرضاً فوق حفرة ماء، فصاحت مذعورة وهي تحاول تجنب الوقوع:

ـ هاي. . احذر!

لكنها كانت قد تبللت بالماء فأكملت: أوه! لا!

رفعت نظرها عن فستانها المبلل الموحل، تنظر بذهول إلى الرجل البدين المبتعد، ثم استدارت لتشهق مجدداً حين شاهدت براندون هائيون أمامها. تقدم منها ليسأل:

ـ هل أنت بخير؟

لكنها ردت بشراسة:

ـ انظر ماذا فعلت، الوحل يبللني!

ارتفع حاجباه بدهشة:

ـ ماذا فعلت؟

ـ لو لم تشده إلى الوراء هكذا لما أصابتني ذراعه الأخرى وأوقعني

www.rewity.com

أرضاً.

ـ وهل أفهم من هذا أنك كنت معه؟ أستميحك عذراً.. ظننتك بحاجة إلى مساعدة.

ـ لا.. بالطبع لم أكن معه. وأنا قادرة تماماً على العناية بنفسي.. فلا تتوقع مني أن أشكرك.. أوه يا الله.. انظر إلى فستاني... سيفسد!

نظر براندون إليها بانتقاد:

ـ ليس إذا نظفتيه على الفور، بكل تأكيد؟

ـ وكيف تفترض أن أنظفه؟ إلى أن أصل الباص، وأصل المنزل، سيكون قد جفّ، عندها لن أستطيع محو الوحل عنه.

قطب ثم هز كتفيه:

ـ في هذه الحالة، الأفضل أن تأتي معي.

أمسك بذراعها ليديرها ويبدأ السير عائداً فوق الرصيف.. لكنها توقفت محتجة:

ـ هاي! أين تظن نفسك ستأخذني؟

ـ إلى مركبي. بإمكانك هناك غسل ثوبك وتجفيفه.

ـ إلى مركبك؟

تصورت فيليسا نفسها تصعد شبميرا وأقاربها ما يزالون على متنه، عدا عن ذكر الآخرين، فجذبت ذراعها منه صائحة: أوه.. لا!

وبالطبع فهم براندون هائيون رفضها بطريقة أخرى، فقال ساخراً:

ـ لا حاجة لأن تخافي، فمن القليل الذي رأيته منك عرفت أنك لست من الطراز الذي يعجبني.

ارتفع رأسها بحدة وهي تنظر إليه:

ـ الشعور مشترك!

ـ إذن، هل ستأتين لغسل ثوبك أم لا؟

كانت تمسك بقماش مقدمة الفستان بعيداً عنها آملة أن لا يتسرب الوحل إلى الداخل، فنظرت إليه بتعاسة، تعلم أنها لن تتمكن من

تعويضه، وقد تضطر إلى رميه إلا إذا فعلت له شيئاً، وبسرعة.. لكنها قالت محتجة، لا تعلم ماذا تفعل:

ـ لو ذهبت معك لفاتني الباص.

ـ استقلي تاكسي إذن.

ردت ساخطة:

ـ لا أستطيع تحمل أجرة التاكسي.. ليست جيوب كل من في هذه الدنيا مليئة بالمال، أوه.. لماذا لم تستطع تجنب التدخل بما لا يعنيك؟

تحول التعبير في عينيه إلى الغضب وقال ببرود:

ـ حسن جداً، بما أنك تلومينني على ما حصل لفستانك، سأدفع لك أجرة التاكسي، أو ثمن ثوب آخر. إذا رفضت عرضي المساعدة.

جعلتها لهجته تنظر إليه بسرعة لترى الكراهية في عينيه.. لا.. إنها غير منصفة بحقه، وتعلم هذا. عضت على شفتها، تفكر بوعدها لعمها، وقالت تسأل:

ـ أهناك أحد آخر على المركب؟

فهم سؤالها على المحمل الوحيد الممكن، والتوى فمه:

ـ أخشى أن ليس هناك أحد.. كنت عائداً لتوي من مرافقة أصدقائي إلى سباراتهم حين شاهدتك لكن، كما قلت لك، طهارتك ستبقى آمنة معي.

وطافت عيناه في جسدها باشمئزاز. رده، سهّل لها ما تريد، وارتفع حاجباه دهشة حين قالت:

ـ حسناً.. سآتي معك.

وعادت للسير بسرعة فوق رصيف الميناء. لحق بها براندون يقول:

ـ لا يبعد كثيراً من هنا.

أنقذ ذلك فيليسا من فضح معرفتها السابقة بمركبه. سبقها في الصعود، لتجد أن المركب معدّ ومصمم بالفخامة التي توقعتها، وقال لها وهو يفتح الباب لما خمّنت أنه كابينة نوم بسبب السريرين غير المرتبين.

www.rewity.com

ـ بإمكانك خلع ملابسك هنا.

ترددت في الباب، فابتسم لها:

ـ ستجدين روب حمام في الخزانة، وإذا رغبت في الاستحمام، الحمام في الباب المجاور.. ناديني حين تنتهين، وسآخذ ثيابك لأضعها في آلة الغسيل.

هزت فيليسا رأسها ودخلت، تقفل الباب وراءها وترنجه.. حتى ولو سمع فلن تهتم، فستشعر بأمان أكثر والباب مرنج. خلعت فستانها بسرعة، قلقت من أن يكون قد تلطخ بشكل دائم، ونظرت إلى الخزانة فوجدت الروب على الفور، ارتدته لتجده أكبر من حجمها بقليل، إذن فهو روب لامرأة لا لرجل...

حالما خرجت من الكابينة، تذكرت في الوقت المناسب أن ليس من المفروض أن تعرف اسمه، فنادت:

ـ هاي.. هل أنت هناك؟

كان في مطبخ المركب ينظف الأكواب الزجاجية، وخرج ليأخذ ثيابها، عيناه مرتا بسرعة ونزاهة بها.. وقالت:

ـ سأستحم الآن.

ـ حسناً ستجدين مناشف نظيفة في الداخل.

تمهلت الوقت الذي تحتاجه لتستمتع بما يحيط بها في الحمام، المزود بالرغم من حجمه بكل الفخامة الممكنة، ثم جففت نفسها بمنشفة الحمام الناعمة التي غطتها من العنق حتى أطراف القدمين والتفت حولها مرتين. براندون هاثيون يعرف بكل تأكيد كيف يدلل نفسه، إن تزوجته فريدا فلن تحتاج إلى شيء.. مع أنها لا تحتاج الآن... لكن فريدا وبراندون هاثيون؟ هزت رأسها لنفسها في المرآة.. لا يمكنها تصور هذا.. ومشطت فيليسا شعرها، ربطت الروب حولها، وخرجت تبحث عنه.

كان يجلس على السطح، يدخن ويقرأ صحيفة وضعها جانباً حين

شاهدها. كانت ليلة رائعة، القمر يرقص في البحر ويشعل النار في شعرها الأحمر.. نظرت إلى السماء، ثم إلى حولها من المراكب التي لا تكاد تتحرك في مياه الميناء الساكنة. وتنهدت، ثم استدارت على مضض لتواجهه.

كانت عيناه مركزتين عليها، ونسي سيجارته، وقال حين استدارت:

ـ أتودين شرب شيء؟

للحظات فكرت بالرفض، لكنها رفعت رأسها متحدية. لمَ لا؟

ـ شكراً لك.. ألديك عصير برتقال؟

ـ أظن هذا.. أواثقة أنك لا تريدين شيئاً أقوى؟

نظرت إليه بسرعة لترى السخرية في عينيه، وابتسمت له:

ـ عصير البرتقال سيكون رائعاً.

جلست على مقعد طويل مفروش بالوسائد، أطراف الروب كانت ملتفة حولها بحذر، ثم شاهدت ابتسامة تسلية على شفتي براندون وهو يراقبها.. اللعنة عليه! ردت عليه بنظرة سخط، لكن هذا زاد من تسليته.. ثم دخل حاملاً إليها الشراب.

حين عاد كان يحمل كوباً لنفسه أيضاً، وبدا لها وقوراً تماماً.. أعطاها كوب العصير، وجلس إلى الناحية الأخرى من المركب وأخذ يراقبها وهي تشرب عصيرها، ربما ينتظر منها أن تتكلم، لكن حين لم تفعل كسر الصمت بقوله:

ـ ربما من الأفضل أن نتعرف إلى بعضنا.. اسمي براندون هاثيون.

لكن اسمها كان آخر شيء تريد قوله له، فسألته:

ـ هل وضعت ثيابي في آلة الغسيل؟

اشتدت قساوة وجهه لفظاظتها:

ـ طبعاً.

ـ لكن هل تأكدت أن تشغل الآلة على الدورة الصحيحة؟ إذا كانت المياه شديدة الحرارة فقد ينكمش الفستان.

www.liewity.com

رد ببرود:

ـ اتبعت التعليمات المكتوبة على الطابع الملصق عليه.

ـ أفترض هذا.. كم سيستغرق من الوقت؟

ـ ليس كثيراً. إن ربع ساعة في النشّافة ستكون كافية لبجف.

ـ ألديك نشافة في المركب؟

رد ساخراً:

ـ لدينا كل شيء، إنه كالمنزل. هل أنت مستعجلة للعودة إلى المنزل؟ هل يجب أن تكوني هناك في وقت محدد؟

ـ ماذا؟ أوه.. لا.

ـ أعتقد أنك هنا في عطلة.. مع والديك أو مع أحد؟

ـ لا.. فأنا.. لست في عطلة.. أنا أعمل هنا لفترة الصيف.

ـ في موناكو؟

ـ لا.. بل على مسافة بضعة أميال خارجها.. في كاب...

التقطت كوبها من على الطاولة الصغيرة، فوقعت عينها على بطاقة عمها وعنوانه في الڤيلا. بينما هي تقرأ كادت تشرق بما تشرب، فسألها ساخراً:

ـ هل الشراب بارد جداً عليك؟

سعلت تهز رأسها:

ـ لقد اتخذ الطريق الغلط.. هذا كل شيء.

ـ طبعاً.. كنت تقولين إنك تعملين في...؟

ـ في «مينتون».

كان هذا اسم بلدة تقع على مسافة أبعد من كاب مارتين، وقريبة من الحدود الإيطالية.

ـ للتعليم؟ خلال عطلتك الجامعية أو شيء من هذا؟

من الطبيعي أن يفترض هذا بعد أن قالت إنها هنا لقضاء الصيف فقط، لكنه لم يعجبها، وقررت أن تتركه يعرف بأنه ضائع، هذا إذا لم يكن قد

فكر في هذا بعد.

ـ لا.. لا شيء بهذه الفخامة.. أنا مجرد خادمة في فندق. أنظف غرف الضيوف، أبدل الشراشف وأمسح أرض الحمام.

كانت تتوقع منه أن ينظر إليها من فوق أنفه المتعجرف لكن أملها خاب حين لم يفعل:

ـ حقاً؟ وأنت إنكليزية؟ لماذا جئت كل هذه المسافة إلى فرنسا لتعملي؟

ردت بحدة، وكانت تود التخلص من الموضوع:

ـ تعجبني الشمس.

ـ لكنني مندهش لتمكنك من الحصول على تصريح عمل.

نظرت إليه بارتياب، لكن وجهه كان خالياً من أي تعبير، وصعب عليها أن تعرف إذا كان يسخر منها أو لا.. أنهت شرابها ووضعت الكوب على الطاولة فنقطت بطاقة العم هاري.

توقف صوت آلة الغسيل، فوقف براندون هاثيون.

ـ يبدو أن غسيل ثيابك قد انتهى، سأضعها في النشّافة.

تركته يفعل، فلن تقفز لتفعل هذا بنفسها وتوفر عليه المشقة.. وما إن غاب عن نظرها حتى التقطت بطاقة العم هاري ورمتها في البحر، فهذه علاقة لا تريد بكل تأكيد أن تشجعها. فمنذ رأت براندون هاثيون، تغيرت مشاعرها تماماً، من الرغبة في مساعدة فريدا إلى المعارضة الكاملة لها، فبكل تأكيد لن تجد ابنة عمها السعادة الحقيقية معه، حتى ولو نتج شيء من هذه العلاقة.. ومن الطريقة التي تصرف بها حين رؤيته لآل لامب يسيرون على رصيف الميناء، فمن المعقول جداً أنها تصنع معروفاً معه بتخلصها من البطاقة.

ـ يبدو أن البقع قد تلاشت عن فستانك تماماً.

لم تسمعه يعود، فقفزت مجفلة:

ـ أوه.. جيد.

www.rewity.com

كان يقف في باب الكابينة، ينظر إليها.. ووقفت، متحركة عبر السطح مبتعدة عنه.

ـ ألا تخرج المركب إلى البحر أبداً. أم أنه مجرد محطة رمزية؟

رد ساخراً، بحركة من كتفه وهو يستند إلى الجدار:

ـ ما هذه الأخلاق الشديدة الحساسية لديك.. أخبريني! هل أنت هكذا مع الجميع، أم أنك تشعرين فقط نحوي بكراهية؟

احمرّ وجه فيليسا، وكانت ممتنة لأن وجهها كان في الظلام كي لا يراه:

ـ لست أنوي أن أزحف أمامك لمجرد أن لديك المال، إذا كان هذا ما تعني. مع أنني أظن أن هذا ما أنت معتاد عليه.

اشتدت قساوة صوته:

ـ لا.. ليس هذا ما أعني.. فمن الممكن أن يكون للمرء احترام لنفسه مهما كان مركزه في الحياة، طالما يقوم بعمله على أفضل وجه.. لكن يبدو أن هناك استعداداً فطرياً لديك للمشاكسة.

ـ أنا لا أغار من مالك.

ـ لكنك أنت من أثرت الموضوع.

أحست وكأن شوكة دخلت خاصرتها، قالت دون تفكير:

ـ حسناً.. ربما هو طرازك فقط الذي لا يعجبني.

ـ أوه؟

استقام وتحرك ببطء نحوها إلى أن أصبح على بعد إنشات منها، عيناه تتحديانها أن تبدي الفظاظة مرة أخرى وسألها بنظرة صارمة:

ـ وما هو طرازي بالضبط؟

قالت فيليسا بعد أن أحست بالحرج، أول ما خطر ببالها، وربما تكون هذه هي الحقيقة:

ـ إنك رجل.

ارتفع حاجباه ذهولاً:

ـ ماذا؟ لا تقولي لي إنك تكرهين الرجال؟ لا.. لا أصدق! لا يمكنك.. ليس مع هذا الوجه وهذا الجسد.

جالت عيناه فوق جسدها ثم عادتا لتتفرسا في وجهها.. وقال بحزم:

ـ مستحيل.. أنت من النوع القادر على جعل الرجال كخاتم في إصبعك الصغير.. بعض الرجال.

لم تستطع مقاومة السؤال:

ـ لكن.. ليس أنت؟

ابتسم، فأدركت أنها عرضة لكل تعليق خادش ساخر يرغب في قوله، ووترها هذا الإدراك. لكنه فاجأها بإطراقة قصيرة ثم قال:

ـ كما قلت.. ليس أنا.

أحست أن الحديث كله يخرج عن السيطرة، فحاولت إيقافه بالقول:

ـ أتمانع أن نرى ما إذا كان فستاني قد أصبح جاهزاً أم لا؟ لا بد أنه جفّ الآن.

اتسعت بسمته وهز رأسه لها بسخرية:

ـ الآن خيبت ظني.

نظرت إليه بارتياب:

ـ حقاً؟ ولماذا؟

مدّ يده ليضع إصبعاً تحت ذقنها ويرفع رأسها إلى أن أصبحت تنظر إلى وجهه مباشرة، عيناه السوداوان مليئتان بالسخرية والتسلية:

ـ لا تبدأي أبداً شيئاً لا تستطيعين إنهاءه، خاصة شيئاً تعرفين أنك لن تكسبيه.

انتزعت رأسها بغضب إلى الوراء، وتجاوزته نحو المطبخ، كانت آلة التجفيف ما تزال تعمل، لكنها أطفأتها وفتحت بابها بقوة، لتخرج ثيابها قبل أن تتوقف عن الدوران. كان فستانها ما يزال رطباً قليلاً، لكنها دخلت الكابينة وأقفلت على نفسها الباب لتضعه على جسدها بغضب.. هذا الرجل لا يحتمل! من يظن نفسه بحق الجحيم! أية امرأة لها ما يكفي من

www.rewity.com

عقل من الأفضل لهادخول الدير على أن يكون لها شأن معه! أما بالنسبة لزواج فريدا منه. . ارتجفت للفكرة، مصممة على إنقاذ ابنة عمها من هذا المصير. حتى ولو لم تشكرها الآن، فستفعل فيما بعد، حين تتغلب على هذا الهوس المراهق نحوه، فهذا ما تشعر به حقاً.

الفستان المبلل التصق بجسدها قليلاً، لم تلحظ هذا، لكن براندون لاحظه بوضوح حين وصلت إلى السطح، كان وجهه متصلباً، ولم تتمكن من تهدئة غضبها.

ـ ألا يمكنك الانتظار خمس دقائق ليجف؟

لم تزعج نفسها بالرد، بل التقطت حقيبتها، وتوجهت إلى السلم العبّارة، لكنه سرعان ما قطع عليها الطريق فقالت باختصار:

ـ أتسمح؟

ـ ذاهبة إلى مكان ما؟

ـ منزلي.

ـ لكن ألم تنسي شيئاً؟ سأدفع لك أجرة التاكسي.

كانت قد نسيت، لكنها تمنت الآن من كل قلبها لو تتمكن أن تقول له ما يمكنه فعله بأجرة التاكسي. لكن آخر باص قد رحل وعليها السير أميالاً عدة لتصل الڤيلا. . للحظة فكرت بإيقاف سيارة مارة، لكنها خافت من المخاطرة في مثل تلك الساعة المتأخرة، وفي بلاد غريبة.

التوى فم براندون بابتسامة ماكرة وهو يراقبها، وكأنه يقرأ أفكارها، متعمداً انتظار ردها.

ـ اللعنة عليك! لماذا كان يجب أن تكون أنت!

ضحك ناظراً إلى وجهها العاصف، الواضح في ضوء مصباح الشارع القريب وقال يثيرها:

ـ عيناك خاطئتان.

ـ لماذا؟ ما بال عيني؟

رفعت يدها نحو عينيها آلياً وهي تظن أن الكحل قد سال. . لكن يده

جمدت لقوله:

ـ إنهما زرقاوان ويجب أن تكونا خضراوين مع لون شعرك هذا، ونوع طباعك.

أنهى كلامه ساخراً كي تعرف أنه لا يقصد المديح. عضّت على شفتها ومدت يدها:

ـ لو أعطيتني مال التاكسي فسأذهب. . واضح أنك لا تريدني هنا مدة أطول، وبكل تأكيد لا أريد أن أبقى. بالنسبة لي كلما أسرعت بالابتعاد عنك كلما كان هذا أفضل!

ـ لكن لقاءك كان تجربة فريدة.

أخفضت يدها تحس بالسخف، وسألته بحدة:

ـ تعني لقاء واحد من الطبقة العاملة؟ النصف الآخر؟

ـ أوه. . لكنني أعمل لكسب المال أيضاً. . أتعلمين؟

سخرت غير مصدقة:

ـ هه!

ـ لا. . ما أعنيه أنني ومن بين كل الفتيات الموجودات الآن في ڤريفيرا لم يسعفني حظي سوى بالاصطدام بك. . أنت مجنونة معقدة. . ليس لديك من الكياسة أو الذوق ما يكفي لجعلك مؤدبة. لست أدري أي رجل أثّر بك أو ماذا فعل، لكنك ستصبحين امرأة سليطة وأكثر سوءاً مما أنت الآن إذا لم تتعلمي وبسرعة كيف تكبرين وتواجهين الواقع.

تلاشى كل لون من وجهها، لكنها، بطريقة ما، وكردّ ناكر صامت لاتهاماته، أمسكت بغضبها، ثم اندفعت تتجاوزه وقطعت السلم مسرعة فوق الرصيف باتجاه البلدة. لا تكاد تشعر إلى أين تذهب، غضبها كبير لدرجة أنها تريد أن تضرب أحداً.

كان هناك بعض التاكسيات بالانتظار عند نهاية رصيف الميناء. . وشاهدتها فيليسا لكنها استدارت إلى الناحية الأخرى، تنوي البدء في السير حتى كاب مارتين. . لكن براندون هائيون لحق بها ليمسك ذراعها،

www.rewity.com

ويشدها لتقف:

ـ هناك تاكسي يقف هناك.

حاولت الخلاص منه بعنف وقالت:

ـ اتركني! لست أهتم ولو اضطررت للسير حتى المنزل! لن آخذ قرشاً واحداً من مالك اللعين.

أدارها لتواجهه:

ـ إذن لديك بعض من كرامة على الأقل.

لكنه رأى أن عينيها مبللتين، فانخفض صوته:

ـ تعالي.. لا يمكنك السير كل هذه المسافة.

وأخذ يجرها نحو صفّ سيارات التاكسي، لكنها حاولت مقاومته وأخذت تصيح:

ـ اذهب إلى الجحيم هاثيون! لا أريد إحسانك القذر!

كان ما يزال ممسكاً بها عندما صفّر لأول سيارة في الصف، فانطلقت نحوهما ونظر السائق إليهما باهتمام.

ـ خذ السيدة إلى ميتون.. ما اسم فندقك؟

حاولت رفسه وهو يفتح لها باب السيارة ويدفعها إلى الداخل:

ـ اتركني أيها الوحش المتعفن!

ـ يا الله، ما هذه الطباع..! ستقول لك بنفسها اسم الفندق حين تنطلق بها.. وخذ هذه، فستغطي لك الأجرة.. وداعاً يا ثعلبتي الصغيرة المشاكسة.. أتعلمين.. أنت لم تخبريني بعد باسمك..

صفقت الباب خلفها، وكان عليه أن يقفز مبتعداً عن الطريق:

ـ هذا أمر لا يعنيك، فلماذا لا تهتم بشؤونك؟

لكن تأثير الإقفال كان محدوداً، وسمعته يضحك فأكملت:

ـ أنت أكره رجل عرفته، ولو لم أقابلك من الآن إلى الأبد، سيكون هذا أفضل.

اشتدت قساوة وجهه للؤمها، فرد متأثراً:

ـ وهذا ينطبق عليَّ أيضاً.

انطلق التاكسي، ولم تنظر فيليسا إلى الخلف، كانت غاضبة للطريقة التي عاملها بها براندون هاثيون، حتى أنها كانت ستسعد لو خنقته.. للحظات هائئة، تنعمت بالتفكير بما يمكنها أن تفعل به، وفكرت متأخرة ما كان يجب أن تقول له، لكن السائق قطع عليها حبل أفكارها بسؤاله عن المكان الذي تريد أن تذهب إليه:

ـ ماذا؟ أوه...

وأعطته العنوان، فسأل:

ـ ليس إلى ميتون مدموزيل؟

هزت رأسها نفياً، فهز كتفيه دون مبالاة، وأعاد التركيز على القيادة.

كانت الساعة تكاد تصل إلى الثانية لكن، كان لا زال هناك الكثير من السيارات، والكثير من المقاهي التي ما تزال تفتح أبوابها.. غير أن كل شيء هدأ بمغادرتهما لموناكو واتجاههما إلى الطريق الساحلية نحو كاب مارتين.

شكراً لله لأنها لن تضطر لرؤيته مجدداً.. محافظتها على وعدها للعم هاري ستكون من أسهل الأمور في العالم، وستفعل ما بوسعها لتتأكد من أن لا ترى فريدا براندون كثيراً، بقدر ما تستطيع. رميها لبطاقة العنوان قد تكون له منفعة.. مع أن عليها الاعتراف أن شخصاً له طموح العمة هيلين وإصرارها، لن يصده عدم اتصال براندون هاثيون أو عدم رده للزيارة... لكن هذا قد يعطي فيليسا وقتاً ضائعاً، وفي هذا الوقت ستحاول قلب أفكار فريدا وتحويلها إلى أمور أخرى.

كانت ما تزال تحاول عبثاً، التفكير بشيء يمكن أن يلهي فريدا عن قلقها المجنون ببراندون حين توقف التاكسي أمام بوابة الڤيلا الخارجية.. سارت عبر الممر الداخلي المنحدر نحو الڤيلا، لتلتقي عمة متوترة وعماً يطلب تفسيراً لمكان وجودها، وما إذا كانت تعرف كم الساعة الآن. لكنها لم تكن تخاف من أقاربها، وتحملت ما يمكنها تحمله الليلة، فردت

www.tegvica.com

الضربة فوراً:

- اسمع.. فلنوضح هذا الأمر. قد تكون تدفع لي أجري، لكن ما أفعله، وإلى أين أذهب في وقتي الخاص هو شأني الخاص، ولا دخل لك فيه. وإذا لم يعجبك هذا، يمكنك وضعي في أول طائرة متوجهة إلى بريطانيا ولن يهمني شيء. فأنا لم أرغب في المجيء إلى هنا أصلاً، وسيناسبني تماماً أن أعود.

هذه الحقيقة الواضحة جعلتهما يتراجعان.. وكانت العمة هيلين سباقة في قولها:

- ليس من داعٍ لكلام كهذا.. لقد قلقنا عليك، هذا كل شيء، ظننا أنك نائمة، وكان عمك سيقفل الأبواب لولا أنني نظرت إلى غرفتك.. كي.. حسناً.. رأيت أنك لست هنا ولم نعرف أين ذهبت.. وأظن أنه كان يجب أن يكون لديك تفكير أفضل من الذهاب هكذا دون ترك كلمة.. ماذا كنت فعلت لو أقفلنا الأبواب في وجهك؟

ردت بحدة:

- كنت سأستمر في دق الجرس إلى أن يرد أحدكم.

أحست العمة بالإهانة، فقالت ساخطة:

- حسناً.. حقاً! في المستقبل يجب أن تقولي لنا إلى أين أنت ذاهبة، ومتى ستعودين!

هزت فيليسا كتفيها بنفاذ صبر:

- سيكون من السهل أكثر لو توصلنا إلى طريقة ندع فيها بعضنا نعرف ما إذا كنا في المنزل أم لا.

تركاها تذهب، فركضت إلى غرفتها، كانت تنوي أن تكوي فستانها قبل النوم، لكنها أحست فجأة بتعب شديد.. وبعد تنظيفها المساحيق عن وجهها نهاوت فوق الفراش، كان ما جال في رأسها كراهيتها لبراندون هاثيون.

استيقظت فريدا قبل ساعة تقريباً من استيقاظ فيليسا، في الصباح

التالي. وهذه عادة أخرى اكتسبتها من العيش في الدير.. وصمتت فيليسا متأوهة، لكن أشعة الشمس المتدفقة من النافذة إلى غرفتها جعلتها لا تستطيع الرؤية، على الفور، سارعت إلى ارتداء البيكيني لتسبح باكراً.

كانت ابنة عمها في الماء وهي سباحة ماهرة، تقطع البركة مرة إثر مرة بطريقة سباحة محترفة.. لكن فيليسا كانت تؤمن أن برك السباحة هي للتمتع والعوم عند نهايتها الضحلة، أخيراً توقفت فريدا وجلست قربها على حافة البركة، حيث كانت تغطس قدمها في الماء، وترفع وجهها إلى الشمس، وقالت فريدا لاهثة، لكن بفخر:

- أربعون مرة.. يجب أن أسبح أربعون طولاً يومياً كي أحافظ على رشاقتي.

- الشيء الوحيد الذي ستحافظين عليه هو عضلات كتفيك... أنت لا ترغبين في كتفين عريضتين كأكتاف الرجال. أليس كذلك؟

أجفلت فريدا:

- لا! لكنني أريد أن أبقى نحيلة.

- أنا نحيلة، لكنني لا أقطع البركة أربعين مرة يومياً.

- أنت نحيلة طبيعياً.. والأمر سهل عليك.. وأراهن أنك لم تضطري يوماً للحمية.

- لا.. لكنني أعمل بمشقة.. هيا بنا، لنذهب ونتناول طعام الفطور.

وصلت الخادمة التي كانت جزءاً من اتفاقية استئجار الڤيلا، وضعت الفطور على طاولة فوق الشرفة المطلة على منظر رائع للخليج.. وجلست الفتاتان، فيليسا تنظر إلى الخبز الساخن والكرواسان بتلذذ، بينما كانت فريدا تنظر إليه بخيبة أمل وتقول:

- سأتناول عصير الفاكهة فقط.

سألتها فيليسا عفوياً وهي تأخذ قطعة خبز بالسكر:

- كيف كانت سهرتكم ليل أمس. هل التقيتم بالرجل الذي تلاحقينه؟

- أنا لا ألاحقه.. أجل.. لقد رأيناه في الواقع.

www.rewity.com

- حقاً؟ أين، في الكازينو؟

- لا.. بل في مركبه.. وكان لطيفاً حقاً معي.. وأخذنا في جولة على مركبه، وأرانا كل شيء.. إنه مركب ممتاز يا فيليسا، وستحبينه.

أخفضت فيليسا عينيها وقالت:

- كان مسروراً لرؤيتك، إذن؟

- أوه أجل. مع أنه كان هناك أشخاص آخرون. قدم لنا الشراب وبقينا إلى أن رحل أحد أصدقاؤه.. وكان يمكن أن نبقى هناك أكثر، لكنه قال إنه سيسير معنا إلى سيارتنا.

كانت تتكلم ببراءة ساذجة، وعرفت فيليسا كيف تخلص من أقاربها بسرعة. التقطت قطعة خبز ساخنة أخرى ووضعت عليها الزبدة والعسل:

- من كان أصدقاؤه؟

قربت قطعة الخبز من فريدا كي تشم رائحة الخبز الطازج وأكملت:

- أتأخذين نصف الخبزة؟

ابتلعت فريدا ريقها وكادت تشرق، لكنها هزت رأسها بتصميم.

- لا.. شكراً.. أصدقاؤه؟ حسناً.. كلهم فرنسيون، رجل وامرأتان.. وللرجل دلالة لقب في اسمه: جان كلود دوفراي.. وهذا يعني أنه من عائلة أرستقراطية قديمة، ألا تظنين هذا؟ متى سترونه ثانية؟

- دعته «مامي» للعشاء معنا الليلة، لكنه قال إن لديه ارتباطاً هاماً لبضعة أيام قادمة ولا يعرف متى سيكون حراً. لذلك سيتصل ويعلمنا متى يتناول الغداء في يوم ما معنا.. لكن «مامي» دعته كذلك لحفلة، وسألته متى يكون حراً، كي يتمكن من المجيء إلى الحفلة.

تغير مزاجها إلى المرح وأكملت:

- ستكون بعد أسبوعين، يوم جمعة.. ماذا تظنين أن عليّ أن أرتدي؟ ربما يمكن أن أشتري فستاناً جديداً من مونت كارلو.. هناك محلات ممتازة يجب أن تريها.

- رأيتها، فقد كنت في مونت كارلو ليلة أمس.

نظرت فريدا إليها بذهول:

- لوحدك؟ لكن كيف وصلتِ إلى هناك؟

- بالباص طبعاً. تعرفينه، إنه مركبة طويلة مزعجة الصوت نوافذها على الجانبين، ويتسابق العامة لركوبها.

بدا على فريدا الغضب:

- حسناً.. إنني أعرف ما هو الباص. كنت أظن فقط أنها جرأة منك أن تذهبي لوحدك، هذا كل شيء.. لقد اشتعل غضب أبي كلهيب النار حين وصل إلى المنزل ووجد بقايا عشائك على المائدة. كافيار وأفضل المعلبات! كاد يقفز ويضرب رأسه بالسقف.

ضحكت الفتاتان لبعضهما، وبتعاطف مشترك.. ثم وقفت فيليسا:

- هيا بنا هناك شيء أريد أن أفعله، وبإمكانك المجيء معي.

- أين سنذهب؟

- سترين.. سنغير ملابسنا ونلتقي أمام الباب.. أوه أحضري بعض المال معك.

ذهبت فريدا إلى غرفتها بسعادة، وأخذت فيليسا تضحك وهي ترتدي بنطلون شورت وقميصاً صيفياً.. أحبت هذا أم لا، ستبدأ عملية تحرير فريدا من سيطرة أمها.

* * *

www.ebtesama.com

٣ ـ ضربة على الرأس

كانت فيليسا قد لاحظت المكان الذي تودالذهاب إليه في اليوم السابق، إنه كاراج صغير عليه يافطة تقول «سيارات للإيجار».

سألت فريدا بذهول، مع بعض الإعجاب في صوتها:

ـ ستستأجرين سيارة؟

نظرت إليها فيليسا ساخرة:

ـ كيف لي أن أتحمل أجرة سيارة؟ على أي حال، أنا لا أعرف قيادة السيارات.. لا، أمامنا طريقة واحدة للتجول في جنوبي فرنسا.. سنستأجر واحدة من هذه.

أشارت إلى صفّ من الدراجات المزودة بمحرك صغير، بألوان براقة، جاهزة للأجرة.

ـ دراجة؟ لكن أتعرفين كيف تقودينها؟

ـ أي أحمق يمكنه قيادتها.

سألت فريدا بخوف متصاعد:

ـ وماذا تعنين أننا سنستأجر واحدة؟ أتظنين أنني ذاهبة معك؟

ـ لأجل السماء فريدا! أنا أستأجر واحدة لأجلك. أنت لا تريدين البقاء ملتصقة بوالديك طوال الوقت.. أتريدين هذا؟ بكل تأكيد أنك ترغبين في التحرر قليلاً؟

لم يكن قد خطر لفريدا من قبل أنها لم تكن حرّة، لكن فيليسا أظهرت لها الأمر بقوة بحيث هزت رأسها آلياً:

ـ أجل.. أعتقد هذا.

ـ جيد.

واستدارت فيليسا لحضور رجل إلى الفناء الخارجي، يمسح يديه بثوبه:

ـ بنجور، نريد أن نستأجر دراجة.

ـ وي وي مدموزيل.

ـ سنجرب هذه.

ـ جيد... أعطيك درساً...؟

شرح لهما كيف تعمل الدراجة، ثم أعطاهما خوذتين، ثم خرج مع فيليسا ليركب خلفها ويضم خصرها بذراعيه مستمتعاً بوضعه وهو يصيح بالتعليمات في أذنها وهي تقود الدراجة إلى مسافة قصيرة ثم تعود، لتقول لفريدا:

ـ أوكي، هذه ستفي بالغرض. ادفعي للرجل، مع أنه يجب أن يدفع لي للطريقة التي كان يتلمسني بها.

فعلت فريدا ما قيل لها، ترفض مذعورة عرض الرجل ليعلمها كما فعل مع فيليسا لكنها سألت فيليسا بعد رحيل الرجل.

ـ أواثقة من معرفتك لكيفية قيادتها؟

ـ طبعاً.. الأمر سهل.

ـ وهذا ما أنا خائفة منه.

ـ يا إلهي فريدا.. أنت نكتة.. لكن لا بد أن هناك أمل لك بعد. تعالي، ضعي الخوذة على رأسك ولنتطلق.

ترنحتا قليلاً عند الانطلاق، وتمسكت فريدا بابنة عمها، مما لا يساعد على استعادة التوازن. لكن فيليسا تمكنت من السيطرة، وتابعت السير على الطريق الرئيسية باتجاه مونت كارلو.. ولحسن الحظ، لم يكن الوقت من أوقات الزحام. لكنهما ضاعتا بين تعقيدات الشوارع، فاضطرت فيليسا للتوقف وشراء دليل، كانت قيادة الدراجة بعد عشرين دقيقة من تعليمات أولية، وعلى أكثر الطرقات ازدحاماً في فرنسا، وعلى الجانب الخاطىء من الطريق، كعادة أهل بريطانيا، محنة قاسية لها،

www.liewity.com

والتصقت ثيابها بجسدها وتبللت يداها من العرق. ولكنها قالت لفريدا:

ـ بإمكانك القيادة في طريق العودة.

ابيضّ وجه فريدا خوفاً:

ـ أوه.. لا. لا أستطيع.. لا يمكن لي، يجب أن تقودي أنت أرجوك فيليسا.

ـ أوه.. حسناً. إذا كنت تصرين.. لكنني أعتقد أن ليس من العدل أن أفعل كل شيء بنفسي.. سأقول لك شيئاً، إذا كنت سأقوم بكل القيادة، ادفعي أنت ثمن الوقود.. هذا عدل، أليس كذلك؟

ـ أجل، أجل.. بكل تأكيد.. إنه عدل تماماً.

كانت تعرف أن هذا ليس عدلاً لكنها رضيت به.

أطلق عدة سائقين الأبواق لهما، ونادوا صائحين وهم يمرون بهما. لفترة ظنت فيليسا أن هناك شيئاً خاطئاً تفعله، لكنها مع اكتسابها الثقة بالنفس، أدركت أن السبب هو أنهما فتاتان على دراجة، ولوحدهما.

حين عادتا إلى الفيلا خلعتا الخوذتان وخبأتهما مع الدراجة في سقيفة خلف الكاراج، حيث من المستحيل أن يفتش أهل فريدا. مع أنها اعترضت لشعورها بالقلق بسب خداع أبويها.

ـ لكن لماذا لا نقول لهما إننا استأجرنا الدراجة؟

ـ لأنهما سيمنعانك على الفور من استخدامها، بالطبع..

ـ لكن إذا قالا إنني لا يجب...

ـ أوه فريدا.. لأجل السماء! لقد تمتعت بالرحلة أليس كذلك؟ وماذا هناك من ضرر؟ لماذا يجب أن تتخلي عن لذة بسيطة كهذه بسبب أنهما ما يزالان ينظران إليك كطفلة، وليس كناضجة.

هكذا بقيت فريدا صامتة حين نزلتا إلى البركة حيث كان والداها جالسين، حيث أعلنت فيليسا بحبور أنهما كانتا تتمشيان.. لكن العمة قالت بحدة:

ـ الملابس التي كنا نرتديها ليلة أمس بحاجة إلى الكي وكان يمكنك

فعل هذا في الصباح.

ـ ظننت من المفترض أن أكون رفيقة لفريدا.. ولا يمكن أن أكون في مكانين في وقت واحد.. لكنني سأذهب لأعتني بالملابس الآن، إذا شئت.

كانت فيليسا تفكر بفستانها الذي يحتاج إلى العناية. سمعت وهي تدخل فريدا تسأل أمها بإلحاح:

ـ هل اتصل؟

وابتسمت راضية عن نفسها حين أجابت العمة:

ـ لا.. ليس بعد يا حبيبتي.

بعد الظهر خرج الثلاثة لنزهة في السيارة. وبما أن الخادمة لم تحضر بعد الظهر، فقد أعطيت فيليسا تعليمات صارمة لكي تنتبه جيداً لأي مكالمة.. لكن، ما إن ذهبوا حتى خرجت فيليسا إلى الحديقة لتتشمس لاتريد سماع رنين جرس الهاتف، حتى ولو رنّ.. في اليوم التالي رفضت فريدا مغادرة المنزل أملاً بتلقي مكالمة من براندون، مع أن أمها حاولت إقناعها بأن الوقت مبكر لاتصاله، وأخذت الفتاة المسكينة تزداد كآبة بمرور الساعات.. حاولت فيليسا إقناعها بالنزول إلى الشاطىء الصغير، لكنها لم تقبل، بل جلست في ظل الشرفة على مدى السمع من الهاتف... ودون أن تحسّ بأي ذنب استعارت فيليسا بساط فريدا الخاص بالشاطىء، ونزلت إلى الشريط الضيق من الرمال لتتشمس.

تلك الليلة ذهب أقاربها إلى الكازينو مرة أخرى، على أمل رؤية براندون هاثيون، أما فريدا فكادت أن تبكي لأنه لم يتصل.. وهكذا أخذت فيليسا الدراجة بعد ذهابهم وذهبت إلى «مينتون» في الاتجاه المعاكس.. كانت بلدة كبيرة لكن من دون بهرجة مونت كارلو.. شوارعها الضيقة مكتظة بالناس يتمتعون بالتمشي المسائي، أو يأكلون في واحد من العديد من المطاعم، أو محلات بيع الأيس كريم.

لكن، في اليوم التالي، وبعد أن سبحت، كانت فريدا أكثر تجهماً من

www.rewity.com

قبل.. وقالت تسرّ لها بغيظ:

ـ نزلنا إلى الميناء لنرى براندون في مركبه، لكن المركب لم يكن هناك.. لا بد أنه ذهب في رحلة بحرية، دادي سأل مسؤول الميناء، لكن ما من أحد يعرف متى سيعود.

في سرّها، فكرت فيليسا أن براندون تصرف بحكمة، وابتعد عن الطريق.. لكنها قالت لفريدا:

ـ حسناً. لن تجلسي طوال الوقت كئيبة هكذا إلى أن يعود.. وبكل تأكيد لن تدعي شخصاً يفسد عليك إجازتك، لمجرد أن أخلاقه كانت فاسدة ولم يتصل بك؟ أنا لن أفعل هذا لو كنت مكانك.. ثم بصراحة، لست أدري ما ترين فيه، لماذا تطاردين رجلاً إنكليزياً سيء الطباع في وقت أمامك كل الشبان الفرنسيين الرائعين لتختاري من بينهم؟

ردت فريدا ساخطة:

ـ إنه ليس سيء الطباع!

ـ إنه في الثانية والثلاثين، أليس كذلك؟ وهذا ما يقرّبه إلى سن والدك.

ـ لا.. إنه ليس كذلك.. كما أنه لا يشبه «دادي».. إنه.. مختلف.. ستفهمين لو رأيته، أو إذا وقعت في الحب.

تنهدت فيليسا داخلياً للنظرة الحزينة في عيني فريدا وقالت بحدة:

ـ حسناً.. واضح أنه لا يحبك، وإلا لاتصل بك منذ أيام.

ثم أسفت لما قالت بعد أن أوشكت فريدا على الانفجار بالبكاء:

ـ أوه.. أنا آسفة، لم أقصد هذا.. اسمعي، لماذا لا تخرجين معي الليلة؟

ـ حسناً، لست أدري.. لو لم يتصل براندون.. سترغب «مامي» و«دادي» بالذهاب إلى الكازينو.. فقد يكون هناك.

ـ هذا أمر صعب الاحتمال إذا كان مركبه ليس في الميناء. وعلى أي حال، لا يجب أن تركضي وراءه.. فليعرف أن الآخرين يجدونك جذابة.

أخيراً، اتفقتا أن تقول فريدا لأبويها إنها متعبة، في حال عدم اتصال براندون، وحين تخرجان، تأخذ هي وفيليسا الدراجة وتذهبان إلى «ميتون» وتعودان قبل عودة الوالدين.

أطلقت فيليسا تنهيدة ارتياح ورضى، مسرورة لأنها أصبحت تقود أفكار فريدا بعيداً عن براندون هائيون.

بقيت مشغولة طوال الصباح تصفف شعر فريدا وأمها قبل أن يخرج الجميع لتناول الغداء ثم الذهاب إلى «نيس» للتبضع.. متجاهلة الأوامر بالبقاء قرب الهاتف، نزلت فيليسا إلى الشاطىء لتتشمس بضع ساعات، واشترت بضع بطاقات بريدية، ثم تسلقت السلم عائدة إلى الفيلا لتجد قلماً وتكتب البطاقات. بعدها فتشت المكان بحثاً عن طوابع، لكن العم هاري الشحيح اللئيم كان قد وضعها في طاولته، وهذا يعني أنها ستضطر للخروج لشرائها، ارتدت فستاناً أخضر اللون، اشترته من ميتون في اليوم السابق، ويبدو أن كل الشابات على طول الريفييرا يرتدين مثله.

الآن، وقد تدربت أكثر على الدراجة، لم تعد بحاجة إلى الخوذة.. فبالكاد ترى أحداً يرتديها.. أخرجت فيليسا الدراجة وانطلقت بسرعة أكبر من اللازم لتخرج من المدخل.. لكنها وجدت هناك سيارة كبيرة تتقدم! رولز رويس كبيرة بلون رمادي فاتح، تكاد تشق الطريق تماماً. ورأت نجوة صغيرة إلى يمين السيارة، فاتجهت يائسة نحوها، لكن السائق اتجه بنفس الاتجاه، وفجأة لم يعد هناك فسحة.

اصطدمت عجلة الدراجة الأمامية بالرولز، وارتمت فيليسا من فوق المقود إلى فوق السياج المنخفض الذي يحد الطريق، ثم إلى الحديقة في الجهة الأخرى، بالكاد تمكنت من تفادي الاصطدام بجذع شجرة، ثم انتهت مستلقية على ظهرها فوق أرض ناعمة تحت شجرة صنوبر. أحست بدوار ورعب كامل، واستلقت غير قادرة على الحركة، لاحظت صعوبة انفتاح باب السيارة ثم قفز أحدهم فوق السياج وركض نحوها.

إنه رجل، كان يصيح وهو يركض:

ـ هل أنت مصابة؟

www.liilas.com

ثم ركع على ركبتيه قربها.

- يا إلهي.. أنا...

ثم بصوت مختلف تماماً وهي تحاول الجلوس:

- هذا أنت؟

تمكنت فيليسا من تركيز عينيها الزائغتين، وتأوهت.. لكن ليس من الألم.. فالرجل الذي كان يحدق بها وكأنه لا يصدق ما يرى كان براندون هاثيون. وتأوهت مرة أخرى وهي تغمض عينيها. عدت للعشرة وأملت أن تكون مصابة بالهلوسة، وأنها لن تجده حين تفتح عينيها.. لكن الرجل ما يزال هناك.

سأل بقلق، وهو يلفّ ذراعه حولها ليساعدها على الجلوس:

- هل أصبت بأذى؟

- لا.. أظن.. أني أشعر بشيء من الدوار فقط.. هذا كل شيء.

- لا تحاولي التحرك.. أواثقة من أنك لا تشعرين بألم في مكان ما؟ في ساقيك، أو ذراعيك؟

- لا.. لا.. إنني على ما يرام.

لكن كل شيء من حولها استدار فجأة وأغمضت عينيها مجدداً وأسندت رأسها على كتفه، لا تكاد تعي ما تفعل.. بعد دقائق فتحتهما مجدداً، لتجده ينظر إليها والقلق يملأ عينيه السوداوين.

- واثقة؟

حاولت أن تهز رأسها لكنها صاحت ألماً: آه.

- ما بك؟

- رأسي يؤلمني.

ضمّها وهو راكع بين ذراعيه، ووقف بسهولة. فحملها إلى الڤيلا، فصاحت محتجة:

- هاي.. لست بحاجة لمن يحملني.. أستطيع أن أسير.

اشتدت ذراعاه حولها لمنعها من المقاومة: اصمتي.

أجلسها فوق كرسي طويل في الشرفة قائلاً:

- سأتصل بالطبيب.

صاحت فزعة:

- لا! حالتي ليست سيئة إلى هذا الحد.. حقاً.

- لكن رأسك...

- إنني أعاني من صداع.. ولست بحاجة لطبيب.

- قد تصابين بارتجاج... ولن أتحمل المسؤولية.

قاطعته بحدة:

- حسناً.. أنا أتحملها.. إنها مجرد ضربة على الرأس بحق السماء!

مدت يدها تلمس رأسها، فأجفلت ألماً. فجأة، بعد أن هدأت مخاوفه، انقلب غاضباً.

- تستحقين هذا تماماً! لو كنت ترتدين الخوذة لما صدمت رأسك أبداً. تصرفت دون مسؤولية تماماً، وكان يمكن أن تقتلي!

وقفت وقد نسيت ألم رأسها:

- أوه.. حقاً؟ وماذا عنك؟ لو أنك لم تتجه نحوي، وتسدّ عليّ الطريق، لكنت تجنبتك تماماً! إنها غلطتك بالكامل.

برز فكه إلى الأمام وقال وكأنه يتحدث إلى طفلٍ متخلف:

- قد يهمك أن تعرفي أننا هنا في فرنسا. والناس يقودون المركبات إلى الجانب الأيمن من الطريق.. ولو أنك التزمت قواعد السير لكنا تجنبنا الاصطدام. لكنك بالطبع، كنت تسيرين إلى جهة اليسار، وأنا هربت منك في الاتجاه المعاكس الذي ظننتك ستذهبين إليه.

أجفلت، ثم لم تستطع سوى أن تقول:

- أوه.. حسناً.. هذه طريق داخلية خاصة، وأنا حرة باستخدام أي جانب أشاء منها!

ثم عادت إلى الجلوس بسرعة لأن رأسها أخذ يدور. نظر براندون إليها متجهماً، ثم رفع رأسه إلى الداخل.

www.rewity.com

ـ ماذا تفعلين هنا في ڤيلا عائلة لامب على أي حال؟

فكّرت فيليسا في كل أنواع التفسيرات التي لن تكون مستساغة:

ـ اسمع.. أتمانع لو تذهب الآن وتعود فيما بعد؟ لنقل حوالى الساعة الخامسة والنصف..

ثم خطرت ببالها فكرة صدمتها:

ـ أوه.. يا إلهي! سيارتك! هل تسببت بضرر لها؟ أفعلت؟

هزكتفيه صارفاً النظر عن الأمر:

ـ ليس للسيارة أهمية طالما أنك لم تصابي بأذى.

نظرت إليه غير مصدقة:

ـ يا الله! لو كنت أملك رولز رويس، لما قلت إن لا أهمية لها.

جذب إليه كرسياً وجلس عليها بالعكس، ويداه تستندان إلى ظهرها.

ـ أخبريني لماذا أنت تتشوقين هكذا للخلاص مني؟ ولا تريدين دعوة الطبيب ليكشف عليك؟

ـ أوه.. يا للجحيم.. حسناً.. إذا كان يجب أن تعرف.. أنا أقيم هنا. هاري وهيلين لامب هما عمي وزوجته وفريدا هي ابنة عمي.

ـ فريدا؟

ـ فريدريكا.

برقت في عينيه شعلة المرح والتسلية.

ـ وأنت في عطلة معهم؟ إذن لماذا تلك الرواية الملفقة عن عبوديتك في فندق؟

ـ لا.. أنا لست في عطلة، إنهم يدفعون لي لأكون رفيقة دائمة لفريدا.. فأنا مجرد قريبة فقيرة.

لدهشتها، مدّ يده يمسك إحدى يديها وأدارها لينظر إلى راحتها.. كانت يدها ناعمة، ولم يعلّق بل تركها، وسأل:

ـ أكنت تعرفين أنني أعرفهم؟ لماذا لم تقولي لي إذن من أنت حين كنت على مركبي؟

ردت قلقة:

ـ لم يكن الأمر مهماً.. حقاً.. اسمع.. سأقول لهم إنك جئت إلى هنا.. و....

لكنه قاطعها بإصرار:

ـ لم تردي على سؤالي.

ـ لم أقل من أنا.. لأنني حسناً، من المفترض أن أبتعد عنك.

ارتفع حاجباه:

ـ تابعي.. ما اسمك على فكرة؟

ـ فيليسا لامب.

كان ينتظر مترقباً، وعرفت أنها ستضطر لأن تكمل.

ـ فريدا.. حسناً.. تحبك. ولا بد أنك تعرف هذا؟ يعتقدون أنهم سيرونك كثيراً، وقرروا أن من الأفضل أن أبقى بعيدة عنك.

ـ كي يكون لفريدريكا مجال مفتوح؟

ـ أجل.. شيء من هذا. على أي حال، وعدت بأن أبتعد، ومن الطبيعي أنني لا أريد أن يعرفوا بأنني التقيت بك.

ـ ماذا كنت تفعلين إذن عند الميناء قرب مركبي إذا كنت قد وعدت بالابتعاد؟

الإلهام جاء فجأة لنجدتها، فأجابت بارتجاف:

ـ كنت أعلم أنهم قادمون لرؤيتك، وفكرت أن أعرف ما إذا كانوا لا يزالون هناك. كنت آمل أن يأخذوني معهم.

بدا أنه تقبل التفسير، فتنهدت ارتياحاً، لكنها أدركت أن عليها الآن أن تطلب منه معروفاً.. وتمرّد عقلها على الفكرة، لكن لا مجال لتجاوزها:

ـ وهكذا، أفضّل أن لا تقول شيئاً عن لقائنا السابق للآخرين.

ابتسم بود ثم قال:

ـ لا.. أنا واثق أنك تفضلين هذا. أتعلمين، سيكون مثيراً أن تظلي مدينةً لي.. ويجب أن أتأكد أنك سترديين الدين.

www.rewity.com

احمرّت غضباً:

- وكيف تقترح أن أفعل هذا؟

ابتسم الرجل الخبيث ابتسامة تثير الجنون:

- أوه.. سأفكر بشيء ما.

وقفت، وبدأت تسير بسرعة إلى مقدمة المنزل، ورافقها على الفور:

- أين أنت ذاهبة؟

- لأبعد دراجتي كي تتمكن من الاستدارة والذهاب.

ضحك بلطف ثم قال:

- لكن ربما لا أريد الذهاب. ربما أريد الانتظار إلى حين عودتهم.

- حسناً.. تستطيع الانتظار لوحدك، فأنا بكل تأكيد لا أنوي تضييع وقتي بالكلام معك أكثر من هذا.

- طباعك.. طباعك.. أهذه طريقة جيدة لاستقبال ضيف؟

استدارت إليه غاضبة، مستعدة لأن تطلق العنان لغضبها وتقول له رأيها الصريح به. لكنهما كانا قد وصلا أمام المنزل وشاهدت الدراجة ملقاة، تقريباً، تحت الرولز.. فماتت الكلمات في حلقها، وتقدمت تسير ببطء نحوها، تحدق بها مذهولة، وقالت بصوت لا يشبه صوتها:

- المقود ملتوٍ!

أوقف براندون الدراجة على مسندها ليتفحصها عن كثب:

- همم.. قد أتمكن من فعل شيء.

ذهب إلى مؤخرة السيارة، ثم عاد يحمل علبة عدّة وأخذ يقوّم المقود. لدقيقة، راقبته فيليسا بصمت، ثم قالت:

- لم أكن أظن أن من يمتلك رولز رويس، يقوم بالتصليحات بنفسه.

ردَّ دون أن يرفع رأسه:

- ربما هذا صحيح.. لكن من يقضي معظم وقت راحته فوق مركب، لا بد وأن يشغل يديه في معظم الأشياء. هاك.. هكذا أفضل.. من أين حصلت على الدراجة؟

- من كاراج على طريق مونت كارلو.

- حسناً.. بإمكانك الوصول بها إلى هناك، لكن لا تحاولي ركوبها قبل تفحصها، فهمت؟

- حسناً.. حاضر.

تحركت تدفع بالدراجة بعيداً عن الطريق وتناثر شعرها حول وجهها وهي تميل إلى الأمام وقال براندون:

- ربما تكون فكرة جيدة أن تأخذيها الآن.. سأجيء معك لأشرح له ما حصل في حال وجدت صعوبة في اللغة.. إذا أحببت؟

- لا.. ليس الآن.. سآخذها في الغد.

شيء ما في لهجتها أثار اهتمامه فأمسك بذراعها، ورفع يده الأخرى إلى جانب رأسها حتى اضطرت أن تستدير نحوه. كانت بيضاء شاحبة، وكان على بشرتها بثور داكنة حتى وهي في مواجهة الشمس.. وصاح:

- أنت ترتجفين.. ما الأمر..؟ رأسك؟ لا.. لا بد أنها صدمة متأخرة.. من الأفضل أن تدخلي المنزل وتجلسي.

حاول اقتيادها، لكنها أبعدته عنها بغضب:

- سأكون على ما يرام بعد دقيقة.. دعني وشأني.. ألا يمكنك ذلك؟

أدارت ظهرها له محاولة السيطرة على الارتجاف السخيف في أطرافها. وضع براندون يديه على خصره وهو ينظر إليها ساخطاً.

- ماذا دهاك بحق السماء؟ لماذا لا تتقبلين المساعدة حين يرغب الناس في تقديمها لك؟

- لست بحاجة إلى أية مساعدة.

استدارت بسرعة تمسك بالدراجة قبل أن يستطيع منعها، وبدأت تقودها نحو مخبئها. فسألها:

- لماذا لا تضعينها في الكاراج؟

- ولماذا لا تتوقف أنت عن طرح الأسئلة؟ ليس الأمر من شأنك اللعين، أين أضعها!

www.rewity.com

ـ أرى أنك استعدت عافيتك.. كنت مؤدبة تقريباً حين كنت متوعكة. أظنك تخبئينها هناك كي لا يعلم عمك وزوجته بأمرها؟

النظرة الحاقدة التي رمقته بها أكدت له ظنونه، فأكمل:

ـ أتعلم فريدا بأمرها؟

ـ أجل.. بالطبع تعرف، ولقد سبق وركبتها.

ـ يا إلهي.. كنت أظنها أكثر تعقلاً! سينتهي بكما الأمر لأن تقتلا معاً.

ردت بحدة:

ـ أنا لا أتوه عادة على الجانب الخاطىء من الطريق.

ـ ومنذ متى تقودين دراجة بالضبط؟

تجاهلت فيليسا سؤاله، وبدأت تفتش في المكان الذي وقعت فيه.

ـ عمَّ تبحثين؟

ـ عن حقيبة يدي، أوقعتها حين صدمتني.

ردّ مقهقهاً:

ـ لم تردي على سؤالي.. منذ متى تقودين دراجة؟

كانت تميل فوق السياج، لكنها سرعان ما استوت وقالت غاضبة:

ـ أوه.. حسناً.. ثلاثة أيام.. لم أقد دراجة قبل مجيئي إلى هنا!

ـ يا إلهي.. أنتِ لست مناسبة للخروج بها!

كانت حقيبتها تتدلى من غصن شجرة على بعد مترين من مكان وقوعها، فجذبتها وأخذت مفتاح المنزل منها:

ـ سأدخل، وسأقفل الباب ورائي.. فإما أن تذهب أو تبقى، لن أهتم بك.

مال برأسه إلى جانب واحد، ونظر إليها مقيّماً، للحظة ظنته سيقبل بتحديها، لكنه ابتسم بخبث:

ـ في أي وقت قلتِ إنهم سيعودون؟

ـ حوالى الخامسة والنصف.

ـ وأعتقد أنك تفضلين أن لا أقول لهم شيئاً، عن كيفية.. التقائنا

يعضنا بعد ظهر اليوم أيضاً؟

أجفلت فيليسا، ووجدت صعوبة في إيجاد الكلمات، فأكمل بلهجة ساخرة:

ـ موقف صعب.. أليس كذلك؟ أن تطلبي من أحد صنع معروف معك؟

صاحت به:

ـ الصعب هو سؤالك أنت.

ضحك بلؤم:

ـ مع ذلك، فأنت مضطرة لسؤالي إذا أردت أن أبقي فمي مقفلاً.

صرّت فيليسا أسنانها بغضب وإحباط.

ـ أووه.. ! حسناً! لا أريدك أن تقول لهم.

ـ أرجوك براندون؟

كادت تقول له أن يذهب إلى الجحيم، لكنها فكرت في مواجهتها لزوجة عمها لأسابيع، فأمسكت نفسها:

ـ أرجوك براند.

أملت أن تزعجه باختصار اسمه.. لكنه لم يبدُ منزعجاً. بل قال مرحاً:

ـ هه.. أعتقد أن هذا أفضل ما يمكنني انتزاعه منك. أوكي.. لن أقول لهم.. والآن أنصحك بالدخول والاستلقاء.. لكن، لو قلت لك أن تفعلي شيئاً، فأنا واثق أنك ستفعلين عكسه لنكايتي فقط.

ـ أنت محق تماماً.

أدارت المفتاح في القفل، فابتسم لها ساخراً.

ـ معظم الأطفال يتصرفون هكذا.

وضحك عالياً حين صفقت الباب في وجهه.

كان أول سؤال لفريدا حين عادوا:

ـ هل اتصل؟

www.rewity.com

ردت فيليسا بالنفي، ونظرت إليها زوجة عمها بارتياب:

ـ أواثقة أنت أنك كنت هنا طوال بعد الظهر؟

ـ أجل.. في الواقع كنت مستلقية لأني مصابة بالصداع. نصف الحقيقة أفضل من لا شيء!

لحقت فريدا إلى غرفتها، وهي تضع من يدها كومة مشتريات فوق السرير. وسألتها فيليسا:

ـ ماذا اشتريت؟

ـ ليس الكثير.. لم أشعر بالرغبة. الطقس حار جداً لتجربة الثياب.. بإمكانك النظر إليها إذا شئت.

ـ واو!

أول كيس مشتريات كان يحوي روب شاطىء بقماش مناشف مخملي أصفر شاحب، لا بد أنه كلّف فريدا بقدر ما سيدفع لها عمها في شهرين.. وتمنت لو تمتلك مثله.. ومن لا يتمنى! لكنها لم تحسد فريدا، فالأصفر الشاحب لون لا يناسبها أبداً، وسيجعلها تبدو أكثر شحوباً.

فتحت فيليسا الأشياء الأخرى ووضعتها في أماكنها، تنفذ عمل الوصيفة. كان بينها حقيبة يد صغيرة جميلة، تليق للسهرة وحذاء صيفي عالي الكعبين، وعلبة كاملة من مستحضرات التجميل. وسألت:

ـ لماذا تريدين كل هذا؟ متى اكتسبت سمرة الشمس، لن تحتاجي إلى التبرج.

ـ لكن «مامي» تقول إن عليّ إبعاد وجهي عن أشعة الشمس.. تقول إحدى المجلات التي تقرأها إن ليس هناك أسوأ منها لإظهار آثار الشيخوخة على البشرة. وإذا بقيت طويلاً في الشمس فقد تصابين بسرطان الجلد.

ـ فريدا، إذا أصغيت إلى أمك، فلن تفعلي شيئاً على الإطلاق. ما فائدة المجيء إلى بلد مشمس إذا كنت لا تنوين التعرض للشمس؟ أوه.. آسفة.. نسيت أنك جئت إلى هنا فقط لملاحقة براندون هاثيون.

ـ حسناً.. لن أتمكن أن ألاحقه إذا لم يكن موجوداً. صحيح؟ على أي حال، ما يزال أمامنا موعد هذه الليلة.. أليس كذلك؟

للحظة فكرت أن تقول لها إن الدراجة لا تصلح. لكن فريدا لن ترغب في الخروج على أي حال حين يظهر براندون، فقررت أن تدع فريدا هي التي تخلف الموعد وتشعر بذنبها.

نادتها زوجة عمها، وتعمدت إبعادها عن فريدا لمدة ساعة تقريباً، لتنظف الأحذية وتعمل هنا وهناك..

ازداد ألم رأس فيليسا بالتدريج، حتى أنها تمنت لو يصل براندون ليلهي عمتها عنها. لكنه لم يظهر حتى قرابة السابعة، وسط شجار صاخب كبير، في الطابق الأعلى، بين عمها وزوجته، بعد أن أعلنت فريدا، كما اتفقت مع فيليسا، أنها متعبة ولا تريد الخروج، فأعلنت العمة أنهما سيقيان في المنزل، لكن الأب كان أصلب موقفاً، واعترض بأنه يرغب في الخروج للعشاء ثم إلى الكازينو، وبدأ الشجار.. كان العم هاري يصيح من غرفة ملابسه حيث كان يكمل ارتداء ثيابه، والعمة هيلين تذرع الغرفة جيئة وذهاباً في ملابسها الداخلية.

فيليساوحدها سمعت جرس الباب، وأطلّت برأسها إلى غرفة فريدا تقول:

ـ هناك من يدق الباب.

ردت فريدا التي كانت مسترخية فوق السرير:

ـ حسناً.. لا أستطيع الرد، فأنا متعبة جداً.

وضحكت لانزعاج فيليسا. قرعت فيليسا باب غرفة عمتها، محاولة رفع صوتها فوق أصوات شجارهما، لكن ما من أحد أظهر أي تأثر حين قالت إن صداعاً يؤلمها، وصاحت:

ـ هناك شخص يدق الباب!

رعد صوت العم ساخطاً:

ـ إذن اذهبي وردي عليه، فهذا ما أدفع لك لتفعليه!

www.rewity.com

حاولت مرة أخرى:

ـ عمتي هيلين.. هناك شخص...

ـ حسناً لا أستطيع النزول، فأنا في ثيابي الداخلية.

دوّى صوت الجرس في المنزل مرة أخرى، وكان هذه المرة يدل على نفاذ الصبر، فتأوهت فيليسا.. مهما حاولت أن تحافظ على وعدها بالابتعاد عن براندون، فلن تستطيع. لكن، هذه المرة بخطأ من عمها نفسه.. باستسلام، نزلت السلم.

صاحت بغضب وهي تفتح الباب بحدة:

ـ حسناً.. حسناً.. أنا قادمة.. لست بحاجة لإبقاء إصبعك على الجرس.

انفجر براندون ضاحكاً:

ـ أيعرفون كيف تفتحين الباب لضيوفهم؟

تراجعت ليدخل:

ـ لم يستقبلوا ضيفاً غيرك بعد.

لكنه لم يكن لوحده، فقد جاء معه الرجل الذي شاهدته على المركب، الرجل الفرنسي الذي لا تتذكر اسمه. قال براندون بنعومة:

ـ أعتقد أن السيد والسيدة لامب في المنزل؟

ـ أجل.. بكل تأكيد.

بالرغم منها تأثرت بارتفاع قامتيهما، وبثيابهما البسيطة الغالية الثمن.. فكلاهما كما يرتدي سترة بيضاء وربطة عنق على شكل فراشة فوق قميص أشد بياضاً من السترة.. ولكي تقاوم تأثرها قالت:

ـ إنهما في غرفتهما فوق، يتبادلان شجاراً عنيفاً. لكن لا تقلق.. سرعان ما سيتوقفان عن الشجار حين يعرفان أنك هنا.

بعد إيصالهما إلى غرفة الاستقبال، عادت فيليسا إلى الطابق الأعلى، مدركة أنها ستتمتع برؤية وجه زوجة عمها.. دقت الباب بقوة، بعد لحظات، فتحت العمة لها، محمرّة الوجه إثر الشجار.

ـ حسناً.. ما الأمر؟ لماذا لم تصيحي بما تريدين من وراء الباب؟

ردت بخبث:

ـ لأنكما كنتما تصيحان بصوت مرتفع، وسمعتكما حتى عندما كنت أفتح الباب.. واعتقدت أنك تودين معرفة أن شخصاً يُدعى براندون هاليون قد وصل، ومعه رجل آخر فرنسي.

كانت ردة فعل العمة ما توقعته.. ابيضّ وجهها في البدء، ثم احمرّ ثانية، بعدها بدأت تسرع الخطى في الممر إلى غرفة فريدا لتخبرها، لكنها تذكرت أنها ما تزال في الملابس الداخلية، فهرعت عائدة إلى غرفتها. وقالت بهمس حاد:

ـ اذهبي واخبري فريدا. هل سمعا حقاً شجارنا في الأسفل؟ أووه.. الله يحبنا! ماذا يجب أن أرتدي؟

ـ هل أبقى بعيدة؟

ـ ماذا؟ ألم تعرضي عليهما شراباً؟ حسناً اذهبي واسأليهما ماذا يريدان أن يشربا! لكن أخبري فريدا أولاً.. أوه.. أين هو هاري؟

ثم صفقت الباب بشدة لتدخل وترتدي ثيابها.

لكن ردة فعل فريدا لم تعجب فيليسا.. فقد برقت عيناها وهي تركض لتستعد، تجذب الملابس من خزانتها وترميها هنا وهناك محاولة أن تقرر ما ترتدي.

وبينما كانت تعود ببطء إلى الأسفل، أدركت فيليسا أن كل خططها لإلهاء فريدا عن التفكير ببراندون كانت فاشلة.. فهي ستنظر إلى مجيئه كدليل قاطع على أنه يهتم بها.. وربما هو فعلاً مهتم بها، فلماذا إذن يزورها؟ وتجهم وجهها. دخلت غرفة الاستقبال وقالت ببرود:

ـ سينزلون بعد قليل.. أتودان شراباً؟

استقرت عينا براندون على وجهها الممتعض، وقال:

ـ شكراً لك.. ليمونادة مثلجة لي أرجوك، ولك أيضاً كما أظن جان كلود؟

www.rewity.com

هزَّ رفيقه رأسه، فعادت فيليسا إلى المطبخ تصبُّ الليمونادة، كانت تحس بأن الرجلين يراقبان خطواتها.. براندون بطريقته الساخرة، وجان كلود دوفراي بنظرة مقيمة مهتمة، يخمّن أن هناك شيئاً بينهما، دون أن يعرف ما هو. حين عادت، أنقذها دخول عمها من نظراتهما، كان يعتذر بلباقة محترفة لعدم وجوده في استقبالهما، ويصافحهما بطريقته الخشنة. لكن براندون قال:

- أرجوك.. أنا من يجب أن يعتذر.. كان يجب أن أتصل بكم أولاً، لكن لسوء الحظ، أضعت البطاقة.. وما كنت سأقدر على رد زيارتكم لولا تلك الرسالة التي تركتموها مع مسؤول الميناء.

ضحك العم هاري:

- من حسن الحظ أننا تركناها إذن. كنا قد حصلنا على بطاقات لعرض مسرحي، ورغبنا في أن تشاركنا حضوره.

قدمت فيليسا الليمونادة إلى الشابين واستدارت إلى عمها، لكنه سارع يقول بعجرفة:

- هذا يكفي، سأحصل على ما أريد بنفسي.

استدارت لتخرج.. فقال براندون بوضوح:

- ألن تعرفنا بهذه السيدة الشابة؟

- أوه.. لكنها فقط الـ...

قاطعه براندون قبل أن ينهي كلمته:

- إنها تشبهك تماماً، لامب. لم أكن أعرف أن لك أكثر من ابنة.

شهق العم هاري وكاد يشرق. واضطرت فيليسا إلى إبعاد نظرها عنه لتمنع نفسها من الانفجار بالضحك.. فهي وعمها لا يشبهان بعضهما أبداً... والحمدلله!

أخيراً تمكن هاري لامب من التمتمة متلعثماً:

- إنها.. ليست.. ليست.. ابنتي.

- لا؟ قريبة أخرى إذن؟ ابنة أخيك مثلاً؟

حاولت فيليسا أن تلتقط عيني براندون، لتعبس في وجهه دلالة على لومها له فقط، لكنه تعمّد أن لا ينظر إليها.. واستعاد العم هاري صوته، وقال بارتياب:

- أقالت لك شيئاً؟

ارتفع حاجب براندون، ساخطاً:

- يا صديقي العزيز.. لقد أدخلتني فقط إلى هذه الغرفة.. إذن، فهي قريبتك؟

عرف العم هاري أنه حشر في زاوية، وأن لا مهرب له، فهز رأسه وقال بغضب:

- إنها ابنة أخي.

وكان يود كثيراً أن يترك الأمر عند هذا الحد، إلا أن براندون مدَّ لها يده:

- كيف حالك آنسة...

وأدار وجهه نحو هاري لامب، الذي ردَّ بانزعاج:

- لامب.. تراسيفيليسا لامب.

علق براندون وهو يصافحها، وشيطان السخرية في عينيه:

- تراسيفيليسا، ما هذا الاسم غير العادي.. أرجو أن تكوني متمتعة بطلتك.

نظرت فيليسا إليه محاولة جذب يدها من يده، لكنه أمسك بها واستدار نحو صديقه:

- هل لي أن أقدم لك جان كلود دفراي.. صديق قديم لي ومواطن من سرياكو.

أخذ جان كلود يدها برشاقة وقبّلها:

- آنشانتي مدموزيل. (تشرفنا أيها الآنسة)

نظرت إليه برهبة، وحده رجل فرنسي يمكنه فعل هذا دون أن يبدو سخيفاً فاشلاً.

www.rewity.com

صبَّ العم لنفسه كوب ليمونادة من الابريق الذي أحضرته فيليسا، وحين شاهد حاجب براندون يرتفع تذكر أن يعرض عليها كوباً، لكنها رفضت.. أسرعوا بتبادل الحديث بحيث لم تستطع أن تتسلل مبتعدة كما كانت تنوي، وكما كان يحاول عمها أن يدفعها لتفعل، ولم تكن تدري لماذا أجبره براندون على تعريفهما، ولماذا جاء بصديقه معه؟.

العمة هيلين وفريدا دخلتا الغرفة معاً.. كانت فريدا ترتدي فستاناً أبيض اللون، يلتصق بجسدها، كان يمكن أن يكون رائعاً لو أنها أكثر سمرة.. كان يبدو أنها تظن أن عليها ارتداء الفساتين الضيقة لتظهر نحولها، لكن هذا لم يكشف منها سوى الفجوات تحت عظم كتفيها، كما أنها زينت وجهها بنفسها، مستخدمة مساحيق التجميل الجديدة بحرّية، لكنها كانت مستعجلة جداً بحيث كانت النتيجة مبالغ فيها وبشكل أخرق.

لم تلاحظ زوجة العم وجود فيليسا إلا بعد تحيتها لضيفيها.. فالتفتت إليها بينما كان الرجلان يتحدثان مع فريدا وقالت تهمس بغضب:

ـ ماذا تفعلين هنا؟ اخرجي!

ضمّت فيليسا شفتيها بغضب، واستدارت لتنفذ ما طلبت منها، لكن ما إن وصلت إلى الباب، حتى قال براندون:

ـ أتساءل ما إذا كنتم ترغبون في تناول العشاء معنا الليلة؟ وتراسيفيليسا كذلك، طبعاً.

توقفت لتنظر إليه، بينما قالت هيلين لامب بسرعة:

ـ أوه.. نرغب في تلبية دعوتك.. كم أنت لطيف.. لكن فيليسا لن تستطيع.

ـ أوه.. ولماذا؟

ـ لأنها.. لأنها...

وصمتت هيلين عاجزة محبطة للحظات تفكر بعذر.. فتدخلت فيليسا:

ـ لأنني مصابة بصداع.

تمسكت العمة على الفور بالعذر الذي قدمته فيليسا:

ـ هذا صحيح.. كانت مستلقية مع صداعها قبل أن نعود إلى المنزل.

قطب براندون حاجبيه وكان وحده يعرف سبب صداعها فسألها:

ـ هل تناولت العشاء؟

ردت مجفلة، دون تفكير: ـ لا.

ـ إذن.. أنا واثق أن الصداع سيزول بعد تناولك شيئاً من الطعام.. وإذا لم يزل الصداع، أعدك بأن أعيدك إلى المنزل فوراً.

أفراد عائلة لامب، الثلاثة، كانوا ينظرون بسخط، وظهر الذهول والامتعاض على وجوههم. بدأت فريدا الاعتراض:

ـ لكنها لا تستطيع المجيء.. إنها هنا فقط لأجل...

ـ فريدا.. لقد قلت لهم إنها ابنة أخي.

لم تستطع أن تضرب قدميها بالأرض، ولا أن تفتعل نوبة غضب تحصل على ما تريد، فاكتفت بالقول:

ـ لكنها ليست جاهزة.

رد براندون بنعومة:

ـ سننتظر إذن، فأنا واثق أنها لن تتأخر.

تقدم إلى جانب فيليسا، ومدَّ يده يفتح لها الباب.. فنظرت إلى وجهه، محاولة قراءة ما يقصد من وراء هذه اللعبة التي يلعبها، لكن قسمات وجهه كانت غامضة تماماً. للحظة، ترددت، تعرف أن في صدورها الرفض، لكن الفضول تغلّب عليها، فهزت كتفيها.. فعلى أي حال، ماذا ستخسر؟ هكذا استدارت تسرع إلى غرفتها حيث ارتدت ثوباً أسود بسيطاً، زينته بوشاح ملوّن ربطته حول خصرها وعصبة حليّ غجرية الطراز على جبهتها. لم تستخدم الكثير من الماكياج، لكنها تعرف كيف تستخدمه، وفي خلال ربع ساعة كانت مستعدة ونقف منتصبة، نحيلة مشوقة، تنظر إلى نفسها بانتقاد في المرآة قبل أن تنزل.

كان الجميع يتحدث، وهي تدخل بصمت إلى الغرفة، عمها وعمتها

www.rewity.com

إلى جان كلود، وفريدا إلى براندون، وهي تنظر إلى عينيه بشغف. لاحظ براندون دخولها ثم الآخرون، وساد الصمت.. أقاربها لم يشاهدوها من قبل ترتدي بأناقة للخروج، وأدهشهم التغيير فيها، أكثرهم فريدا، التي استدارت متجاهلة فيليسا تتابع الحديث مع براندون. لكنه لم يكن يصغي إليها، ثم انحنى اعتذاراً وأخذ يصغي.

تركوا المنزل بعد وقت قصير، وبينما كانوا يتفقون حول من يذهب بسيارة من وجدت فيليسا نفسها فجأة لوحدها مع براندون، فسألته غاضبة بصوت منخفض:

ـ لماذا تفعل كل هذا؟ لقد وعدت أن لا تفضح أمري.

ـ لكنني لم أفعل.. لقد تعارفنا الآن، وأصبحت أعرفك رسمياً.

ـ لا تتلاعب معي! لماذا دعوتني للعشاء؟

ـ كي تصبح أعدادنا متساوية بالطبع.

فتحت فمها لترد عليه، لكن فريدا شاهدتهما معاً وتقدمت لتتدخل بينهما. قالت بابتسامة متكلفة:

ـ سأجيء معك يا براندون في الرولز.. أوه.. مسكينة سيارتك، فيها خدش على الجناح، هل حصل لك حادث؟

ـ نوعاً ما.. في الواقع شخص صدمني.

ونظر نحو فيليسا، فبدا السخط على فريدا.

ـ حسناً.. أرجو أن تكون قد أجبرته على دفع تعويض.

ـ أنوي أن أفعل هذا.. وحتى آخر سنتيم.

نظرت إليه فيليسا نظرة ازدراء، تعرف الآن كيف ينوي أن يسلي نفسه على حسابها، ثم توجهت بغضب لتصعد إلى مؤخرة سيارة عمها، وتصفق الباب وراءها.

* * *

فراشة الحبة

٤ ـ نصف الحلم

أخذهم براندون إلى مطعم فندق «دوباريس» أحد أشهر الأماكن في مونت كارلو. كان مكاناً ضخماً، مؤثثاً على طراز امبراطوري فخم.. كان واضحاً أن العمة هيلين وفريدا لم تريا المكان من قبل، وصاحتا اعجاباً، بينما أشار إليهم «المتر دوتيل» الذي يعرف براندون يدلهم إلى طاولتهم، كانت طاولة رائعة تقع قرب نافذة تطل على الحديقة والبحر.

بطريقة ما، وجدت فيليسا نفسها بين براندون وجان كلود، فريدا إلى الجانب الآخر من براندون، مع أن فيليسا حاولت أن تجلس بين جان كلود وعمها كي لا تعطي ابنة عمها سبباً للغيرة.. لكنها لم تدرِ كيف وصل بها الأمر إلى هنا.

الطعام كان رائعاً بالفعل.. نادراً ما كان لفيليسا فرصة تناول طعام جيد حقاً، وعرفت أن الفرنسيين يفضلون تقديم كميات صغيرة لكن نوعيات جيدة. يا الله.. كيف يعيش الأثرياء! وتساءلت عما إذا كان جميع من في الغرفة يحسّ بالفخامة مثلها.. لكن، على الأرجح لا، فالجميع بدا وكأن هذا هو المستوى اليومي لحياتهم.

استدار براندون نحوها بعد دقائق وقال:

ـ أيعجبك المكان؟

هزت كتفيها دون اكتراث وقالت:

ـ لا بأس به.

ـ وكيف حال رأسك؟

www.rewity.com

ـ ليس سيئاً جداً . . أعتقد أنك تتناول الطعام هنا دائماً؟

هزّ رأسه نفياً:

ـ نادراً. فقط حين أدعو ضيوفاً أعرف أنهم يحبون مثل هذه الفخامة. وهذا ما أعطاها فكرة عن رأيه بأقاربها. . فقالت متحدية:

ـ لكنه لا يعجبني. إنه كثير الزخرفة والنحت. . كل شيء مبالغ فيه.

ـ لماذا لم تقولي هذا حين سألتك إذن؟ أم أنك تشعرين برغبة في التحدي كل مرة؟ . . لماذا فيليسا؟

ـ أنت تعرف لماذا. . فصنفك يضعني في مواقف حرجة!

ـ أنا لست صنفاً فيليسا. . أنا إنسان. . حاولي أن تتذكري هذا.

التوى فمها بابتسامة تسلية، لم تصل إلى عينيها.

ـ أفضل أن لا أتذكر شيئاً عنك.

بدل أن يحس بالإهانة ضحك لها:

ـ كوني حذرة، فقد أقرر أن أجعلك تفكرين بي.

ضحكت ساخرة:

ـ لن تستطيع.

ثبّت عينيه على عينيها، والشيطنة تلوح منهما.

ـ الآن يبدو لي هذا تحدياً.

لم ترد على كلامه واستدارت إلى جان كلود الذي كان أكثر رغبة في أن يكلمها بعد خمس دقائق من الكلام المتواصل مع العمة هيلين.

كان طويل الأنف جداً ليقال عنه تقليدياً إنه وسيم. لكنه شاب له شخصيته، ومظهره الجذاب، ولكنته الفرنسية المحببة. وكان واضحاً أنه يهتم بها، لكنه كان أكثر تأدباً من أن يسألها مباشرة حول وضعها في عائلة لامب، أو أين التقت براندون من قبل. غير أن هذا لم يمنعه من محاولة المعرفة بأسئلة غير مباشرة. لكن فيليسا قررت صده، لا تريد لعمها أو زوجته أن يسمعا أي شيء قد يفضح أمرها.

تراجعت فيليسا في كرسيها، وكانت تحسُّ ببعض الدوار إثر صدمة

بعد الظهر، الأنوار المتلألئة من عشرات ثريات الكريستال، أدوات الموائد الفضية، والحلي اللامعة على أعناق النساء وعلى معاصمهن، كانت تشكل عبئاً كبيراً على عينيها المتعبتين، ورغبت في أن تغمضهما. . أحست أنها تحلم وكانت متعبة لا تستطيع أن تتكلم، قانعة بأن تترك أقاربها يسألون جان كلود. مرة أخرى تساءلت لماذا جاء به براندون معه؟ ألأنه أراد أن يكمل العدد كما قال؟ لكن لا بد أن يكون هناك تفسير بريء أكثر، مع أنها تشك في هذا. بطريقة ما لا تستطيع أن تصدق بأن براندون هائيون، يمكن أن يفعل شيئاً بريئاً. . لكن دماغها المتعب لم يستطع التفكير بالسؤال، تخلت عنه. فجأة أدركت أنها في الواقع تفكر ببراندون كثيراً، مع أنها كانت قد قالت له إن أمره لا يهمها مطلقاً. بسرعة أشاحت ببصرها عنه، ولاحظت فوراً أن جان كلود قد توقف عن الكلام، وأن أقرباءها كانوا ينظرون إليها مترقبين. . فقالت بارتباك:

ـ هل فاتني شيء ما؟

قالت العمة بنفاذ صبر:

ـ طلب براندون منا لتوه الذهاب إلى نادٍ ليلي، لكنني شرحت له أنك متعبة.

في أي وقت آخر كان يمكن لفيليسا أن تقبل الذهاب لمجرد النكاية، لكنها الليلة قالت:

ـ أجل. . أنا فعلاً متعبة.

أكد لها براندون:

ـ أنت على الرحب والسعة لو جئت معنا، وتعلمين هذا.

رفعت فيليسا عينين مثقلتي الجفنين إلى وجهه ورأت أنه يعني ما يقول. . وتمكنت من التخمين بأنه يعرف أنها كانت تفكر به. لكنها لم تكن في حالة تسمح لها بأن تهتم. هزت رأسها، وتمنت على الفور لو لم تفعل.

ـ لا. . شكراً. . أفضل العودة إلى الفيلا.

www.rewity.com

نظر إلى جان كلود من فوق رأسها وقال:

ـ حسناً.. سأوصل فيليسا إلى المنزل وألحق بكم إلى ملهى «ريجين».

سارع العم هاري إلى القول بعد أن ضربته زوجته بمرفقها على أضلاعه:

ـ لا.. لا.. لست مضطراً لفعل هذا. بإمكان فيليسا أن تأخذ سيارة أجرة..

رد براندون بنعومة:

ـ لكنها ضيفتي، ولن أتركها تذهب لوحدها وأنا أملك سيارة جاهزة في الخارج.

أرجع كرسيه إلى الوراء ووقف يضع يداً تحت مرفقها ويساعدها بالوقوف:

ـ لن أتأخر.. لماذا لاتتناولون فنجان قهوة آخر قبل ذهابكم؟

أعطى فيليسا الوقت الكافي لتودع الجميع قبل أن يجرها إلى خارج المطعم، ويده تحت ذراعها بحزم، في البهو توقف ليوقع الفاتورة، ثم خرجا، ونادى حارس الباب ليحضر السيارة.

لمونت كارلو في الليل منظر غير معقول.. بحدائقها المغمورة نوراً وساحاتها والشوارع حيث كل السيارات إما رولز رويس أو مرسيدس.. هنا، حياة الليل هي الأكثر تنظيماً في كل الريفييرا. وربما في العالم أجمع.. وبينما هما ينطلقان بالسيارة كانا يمران بأنوار النيون المضيئة تعلن عن أماكن للقمار، أو عن ملاهٍ عالية المستوى.

لكن فيليسا شاهدت كل هذا وكأن الضباب يلفّه، وكانت نائمة تقريباً حين توقف براندون أمام الڤيلا. مدّ يده بلطف وهو يمرر إصبعه على وجهها ليوقظها:

ـ هاي.. وصلت إلى منزلك.

رفرفت عينيها ثم فتحتهما:

ـ ماذا؟.. إنها سيارة ناعمة سريعة.

ـ هل أنت بخير؟

ـ أجل.. طبعاً بخير. شكراً لتوصيلك لي.. باي.

نزلت من السيارة بسرعة، لكنها سرعان ما تمسكت بالباب لتستند إليه.

ـ أوه!

سار براندون حول السيارة إلى جانبها.

ـ أين المفتاح؟

أشارت إلى الحقيبة، فأخرجه منها، ثم حاول حملها لكنها تراجعت عنه:

ـ لا! أستطيع السير.

ـ حسناً.. تفضلي إذن بالسير.

لكنه لفّ ذراعه على خصرها، ثم تأكد أنها تستند إلى الجدار قبل أن يفتح لها الباب:

ـ تعالي.. سأوصلك إلى فوق.

أمسك ذراعها وأدخلها إلى المنزل، فقالت محتجة:

ـ أستطيع تدبير أمري بمفردي الآن.. أرجوك اترك ذراعي!

ـ لا.. يجب أن تعتادي على فكرة أنك ستتلقين مني المساعدة.

جذبها بخشونة حين حاولت الخلاص منه، ففقدت توازنها وكادت أن تقع. فصاح بها:

ـ لأجل السماء يا فتاة!

حين وصلا إلى منتصف السلم المؤدي إلى الطابق الأعلى التقطها بين ذراعيه، وحملها فيما تبقّى من الطريق. فنظرت إليه بغضب حاولت إخفاءه قدر المستطاع:

ـ هذه المرة الثانية التي تحملني فيها اليوم، ولا يعجبني هذا! لذلك تركني في الحال.. هذه الألاعيب الفرنسية التي تتلاعبها مع النساء قد

www.rewity.com

تنجح مع الكثيرات، لكنها تتركني باردة.

ـ ومن قال لك إنني ألاعب الفرنسيات.. أين غرفتك؟

نظرت حولها زائغة البصر، ثم لفّت ذراعيها حول عنقه وأحست أنها في خطر حتى وهو يشدها إليه.

ـ إنها في الطابق الثاني.. قالت لي فريدا إنه كان لديك فتاتين في مركبك.

ـ حسناً، ما رأيك أن تكوني أنت وفريدا على مركبي؟

ضحكت:

ـ لكن فريدا ليست «لقطة».

ـ بالطبع لا.. وأنت؟

توقف ينظر إليها، فالتقت عيناها بعينيه وقالت ببطء:

ـ إذن لهذا السبب جئت معي إلى غرفتي.. تتوقع مني أن أدفع ثمن العشاء الآن.. أليس كذلك؟

لم تكن تقاوم، بل كانت مستلقية بين ذراعيه تحدق به.. عيناها الزرقاوان باردتان كالثلج الأزرق، فعاد يسأل:

ـ أين غرفتك؟

للحظات طويلة بقيت صامتة، ثم قالت:

ـ تلك التي في نهاية الممر.

أدخلها محمولة، وأضاء النور، ليطلق صيحة اندهاش لصغر حجمها. ثم وضعها أرضاً، لكنه أبقى ذراعه على كتفيها.

ـ انزع يدك عني.

ببطء أطاعها، فاكملت متوترة:

ـ الآن اخرج.. فجسدي ملك لي وأنا لا أعطيه لرجل يظن نفسه قد دفع ثمنه.

رفع يده يمسك ذقنها:

ـ تظنين نفسك قوية.. أليس كذلك؟ لكنك لست قوية، بل شجاعة

فقط. أنت قطيطة متنكرة خلف تكشيرة نمرة.. وأتمنى...

ثم صمت فجأة.. وتغيرت لهجته، وقال بصوت هادىء عادي:

ـ أواثقة أنت أنك قادرة على تدبير أمرك الآن؟

أجفلت لتغيره السريع.

ـ أجل.. أجل.. طبعاً.

ـ سأقول تصبحين على خير إذن.

استدار ليذهب، لكنه استدار ثانية عند الباب ونظر إلى الغرفة ذات الأثاث المتقشف والنافذة الصغيرة:

ـ يا إلهي! ألا يقدرون على إعطاءك أي شيء أفضل من هذه؟ إنها تشبه خزانة ملابس أو زنزانة!

كانت فيليسا تشاركه الرأي، لكن هذا أمر مختلف، وتكورت عيناها وهي ترد بشراسة:

ـ لاتتجرأ أبداً على الاحساس بالأسى عليّ! فأنا لا أحتاج إلى شفقتك.. أتسمعني؟

تجهم وجه براندون، وقطع المسافة بينهما بخطوة واحدة.

ـ حسن جداً.. لن أفعل!

جذبها بخشونة إليه وعانقها بقوة.. لكنه لم يطل العناق لدرجة أن تخاف وتبدأ بمقاومته، بل تركها بعد دقيقتين تقريباً.. كانت قسمات وجهه جامدة في خطوط قاسية، حين نظر إليها طويلاً، ثم استدار بسرعة على عقبيه وخرج من الغرفة.. دون أن يغلق الباب وراءه.

وقفت فيليسا تصغي إلى وقع أقدامه على السلم، وإلى إقفاله للباب الأمامي، ثم إلى صوت سيارته تبتعد، بعدها تهاوت على فراشها وكأن ساقيها اختفتا.. ببطء رفعت يدها تلامس خدها حيث لامس صدره، ومضى وقت طويل قبل أن تتمالك نفسها بما يكفي لتخلع ملابسها وتأوي إلى الفراش، وتغفو على الفور.

عند الصباح، أخذ نومها يصبح خفيفاً، وحلمت، لكنها استيقظت في

www.freewity.com

وفتها المعتاد تحس باستعادة عافيتها تماماً، مع ضباب خفيف يلفّ ما حدث لها ليلة أمس. تذكرت خروجها مع الآخرين إلى المطعم، إلا أنها سرعان ما قررت أنها يمكن أن تكون قد حلمت بكل هذا.

لأول مرة، لم تستيقظ فريدا قبلها.. وكانت لها البركة لوحدها. استلقت على ظهرها تطوف فوق سطح الماء، عليها أن تعترف بأنها تمتعت بليلة الأمس؛ فالطعام لا يمكن لها أن تنساه بسهولة، ومن السعادة أن ترى كيف يعيش النصف الآخر من البشر.. لكنها في الأساس منطقية وتعرف أن هذه الأمسية ستكون فريدة لا عودة لها.. وهذا أمر جيد، لأن هذا الطراز من الحياة لا يمكنها تقبله.. ليس لأنها خائفة أن تعتاد عليه، فعمها وزوجته سيتأكدان بنفسهما من بقائها بعيدة في المستقبل.. وتأوهت مستديرة لتسبح عند حافة البركة، متوقعة مواجهة تأنيب عمها وزوجته.. لكنها لم تكن هي من طلب أن تذهب معهم، وهذا ما يعطيها أساساً للدفاع عن نفسها.. وصلت حافة البركة وبدأت تتسلق السلم. والماء ينقط من جسدها الذي أصبح ذهبياً وهي ترتدي البيكيني الأزرق الشاحب، ما إن وصلت قمة السلم، وصعدت إلى الباحة المرصوفة حولها، حتى شاهدت الخادمة تقطع مرجة العشب نحوها، وخلفها براندون هاثيون.

ما إن شاهدته حتى تذكرت حلم ليلة الأمس.. إنه حلم حيّ.. لكنها صرفت النظر عنه مجدداً. من المستحيل أن يكون حقيقة. كان براند ينظر إليها عن قصد، لكن، حين رفعت ذقنها في وجهه، ابتسم لها دون مرح، وترك عينيه تجولان في جسدها المبلل بفضول مهين قبل أن يقول بنعومة:

ـ صباح الخير.

قالت باختصار:

ـ الآخرون لم يستيقظوا بعد.. أنت مبكر جداً.

ـ أتعلمين.. أظن الطريقة التي قلت فيها صباح الخير مهذبة جداً.. هل من الكثير أن أطلب تحية متمدنة في المقابل؟

ـ لكن الطريقة التي نظرت إليّ فيها لم تكن متمدنة!

تجاوزته بحدة وجلست على مائدة الفطور، فجلس قبالتها:

ـ نقطة ضدي.. أعترف بها. رؤيتك تخرجين من الماء تجلب السعادة لعينيّ.

مدَّ يده إلى إبريق عصير البرتقال وصبَّ قليلاً في كوب. كانت الخادمة ما تزال هناك، فنظرت إليه تسأله:

ـ ستبقى للفطور مسيو؟

ابتسم بطريقة فرنسية رائعة.

ـ أجل.. بالتأكيد. أيمكن أن تتلطفي وتصنعي لي فطوراً إنكليزياً.. بيضتين ولحم؟

ردت الخادمة الابتسامة، واضح أنه سحرها:

ـ لكن بكل تأكيد يا سيدي.

تدخلت فيليسا:

ـ واحد لي كذلك. وأرجوك، قولي للآنسة لامب إن السيد هاثيون هنا.

هزت الخادمة رأسها وذهبت، فنظرت فيليسا إلى براند وقالت ساخرة:

ـ تفضل واجلس، ابقى هنا للفطور، ألن تفعل؟

ضحك، دون أثر لأي غضب:

ـ هل أنت دائماً لئيمة هكذا في الصباح؟

ـ فقط مع من أجدهم مكروهين ولا يمكن تحملهم.

لكن إهانتها لم يكن لها أثر عليه. التقط قطعة خبز بالسكر والحليب وبدأ يضع الزبدة عليها.. فسألته:

ـ لماذا طلبت مني الخروج معكم ليلة أمس؟

أجال بصره عليها، لكن هذه المرة متنقداً:

ـ بدوتِ لي بحاجة إلى وجبة طعام لائقة، فأنت نحيلة كالفزاعة.

www.rewity.com

علقت عيناه بشعرها الذي أخذ يجف ويتجعد بخصل خفيفة.. وردت ساخطة: شكراً.

- لا بأس في هذا.. كنت أعلم أنك ستشكرينني في النهاية.

مالت إلى الأمام:

- لم أقصد...

ثم عادت تغوص في مقعدها.

- كيف حال رأسك اليوم؟

- جيد. لم أعد أشعر بالصداع، إذا كان هذا ما تسأل عنه.

- لم أقصد هذا.. لماذا تقفزين دائماً لتمسكي بخناقي؟ حتى حين أسألك أكثر الأسئلة براءة؟

- أنت تطرح الأسئلة دائماً، لكنك لا ترد على أي سؤال... بصدق، على أي حال.

ضحك واستدار يطري الخادمة وهي تضع طبق البيض واللحم، والطماطم، ثم النقانق أمامه.. ولم تنل فيليسا سوى نصف الكمية. فنظرت إلى طبقه ثم إلى طبقها وقالت بمرارة:

- أعتقد أن الغزل يوصلك إلى ما تريد.

- توقفي عن التأوه وتناولي طعامك يا فتاة.. لم تكوني لتجرؤي على طلب هذا لو لم أكن هنا.

- حسناً.. بكل تأكيد سأطلب هذا كل صباح في المستقبل.. همم.. كم هو لذيذ.

رفع براند حاجبه:

- حتى ولو كنت لا ترغبين به؟

- خاصة إذا كنت لا أرغب به.

ثم، التقطت النظرة التي في عينيه، وانفجرا معاً بالضحك، إنها المرة الأولى التي تضحك ضحكة حقيقية منذ عرفته.

لسوء الحظ، اختارت فريدا تلك اللحظة لتخرج من الأبواب الزجاجية

لم يلاحظاها في البداية، وعندما نظرت فيليسا حولها، ماتت ضحكتها على الفور وهي ترى السخط الغاضب على وجه ابنة عمها.

استدار براند، وانتبه إلى حقيقة الموقف، ووقف.. وهو ما يزال يبتسم ثم قال:

- صباح الخير فريدريكا.. أرجو أن لا تمانعي بوجود ضيف على الفطور.

- بالطبع.. بالطبع لا. أنت مرحب بك في أي وقت، وتعرف هذا.

لمجرد أن نظر إليها زال عبوسها وأصبحت بحلاوة العسل. تصافحا، وجذب لها كرسياً إلى جانبه، ثم قال بلطف:

- كنت وفيليسا نحتفل بانتصار.. تمكنّا من الحصول على فطور إنكليزي حضّرته لنا الخادمة.. أتودين بعضاً منه؟ هل أطلبه لك؟

- أوه.. حقاً؟ لا.. شكراً.. أنا لن أتناول سوى عصير البرتقال.

صبّ لها بعض العصير، ثم حدثها لوحدها دقائق طويلة، وأعاد إليها الشعور بالسعادة ثانية.. كانت تشعّ بهجة وهو يحدثها.. وكان وجهها يضجّ بالحياة، مع أنها زينته بسرعة وكان يبدو هذا عليها. شعرها لم يكن مسرّحاً كما يجب، وهناك خط كحل عيون يلطخ أسفل عينيها، وظلال زرقاء تتنافر تماما مع مثل هذا الوقت من النهار.. واغتنمت فيليسا الفرصة لتنسحب وتوجهت إلى الداخل في وقت كان عمها وزوجته يلحقان بفريدا إلى الشرفة.

بقي براند هناك لنصف ساعة أخرى، تقريباً، لكن فيليسا ابتعدت عن الطريق. فتشت لتجد أياً من أكواب ابنة عمها أو أمها بحاجة إلى تنظيف، وجمعت كومة لتضعها في آلة الغسيل.

كانت تقف قرب المغسلة في غرفة الغسيل، تغسل القماش الأكثر نعومة بيدها، حين دخلت فريدا غاضبة:

- لقد تلقيت دعوة للمجيء معنا في رحلة على مركب براندون بعد الغد. يريدك ليكون العدد متساوياً، مع أنني لا أدري لماذا يدعوك وهناك

www.rewity.com

مئات من فتيات العائلات الكريمة، يمكن له دعوة واحدة منهن.

مع فظاظة كلامها، ردت فيليسا بنعومة:

- كنت أظنكم عائلتي.

- حسناً.. أنت تعرفين ما أعني.

- طبعاً.. أنت تعنين فتيات من عائلات ثرية.. وأعتقد أنكم قبلتم أن أذهب؟

- لم يكن لنا خيار آخر، فقد أصرّ براند.. ربما يكون جان كلود معجباً بك.. ونعرف أنك تقفزين فرحاً لهذا الأمر.

- حقاً؟ أنا لم أصعد إلى مركب من قبل.. وأتساءل عما إذا كنت سأصاب بدوار البحر.

- أوه.. يا إلهي! لا أتمنى هذا! لم أفكر بهذا.. من الأفضل أن تأخذي بعض الحبوب قبل صعودك إلى المركب.

- هل سترين براند ثانية اليوم؟

ردت فريدا بطريقة متعالية قدر ما استطاعت:

- اسمه براندون.. لا.. لن أراه اليوم. لهذا جاء مبكراً، سيزور صديقاً ولن يعود حتى الغد.. لكنني كنت أتمنى لو لم تلتقيه ليلة أمس.. أظنه سيشعر بأنه مضطر لدعوتك معنا إلى كل شيء الآن، لأنك جزء من العائلة.

- حسناً، لا تلوميني على هذا.. كان على أحد منكم أن يفتح الباب، ولو ذهبت أنت لما كنت التقيت به. على أي حال لماذا لا تقولي له إنني مجرد خادمة؟ وسيتخلى عني فوراً.

- لا أستطيع فعل هذا! سيظن أننا.. لن يفهم الظروف..

وقفت وقد بدا عليها الرعب، وأكملت تغيير الموضوع:

- هل أنهيت عملك؟ مامي ودادي ذاهبان إلى نيس لتناول طعام الغداء مع شخص يعرفانه، وسيوصلاني إلى هناك لأقوم بشراء بعض الأشياء، لذا يمكنك المجيء معي.

هكذا أمضت فيليسا طوال بعد الظهر في الجري خلف فريدا، ومراقبتها وهي تجرّب وتشتري الثياب، التي لم تكن تناسبها.

كانت متعبة الساقين وهي تجفف شعر فريدا وأمها وتسرحه لهما، وتضع لهما الزينة قبل الخروج.. حتى أنها لم تكن قد بدأت بعد بتحضير نفسها. لقد قال براند إنه يريد البدء بالرحلة باكراً، وها هم قد تأخروا كثيراً. ولم يكن لديها الكثير من الوقت فهرعت إلى غرفتها، وارتدت الشورت وبلوزة واسعة فوق ثوب السباحة، سرّحت شعرها قبل أن يطلق العم هاري بنفاذ صبر، بوق سيارته، فقد حان وقت الذهاب.

كان جان كلود قد أمّن لهم موقف سيارة قرب رصيف الميناء وساعدهم على حمل الأشياء التي جاءت بها فريدا وأمها، دون ذكر زجاجات المرطبات التي جاء بها العم هاري، كمساهمة منه في يوم النزهة هذا.

كان براند على متن المركب، ينتظر مع زوجين إنكليزيين آخرين متوسطي السن قدمهما باسم هيلاري وبوب سترونغ. ورفع حاجبه دهشة حين شاهد كمية الأشياء التي جاءت بها عائلة لامب، وقطع السلم الخشبي بسرعة ليستقبلهم ويحمل آلة ڤيديو ثقّال، ثقيلة الوزن، وكاميرا كانت فيليسا تحملها عن عمها ليتمكن هو من حمل المرطبات.

سألها ساخراً:

- أيّ من كل هذا لك؟

أشارت إلى النظارة الشمسية المثبتة على رأسها:

- أوه.. أنا أسافر خفيفة. وهذه كل ما أحتاج.

نظر إليها بدهشة وقال:

- إذن، أنت واحدة من مليون.. لؤلؤة لا تقدر بثمن!

نظرت إليه مقطبة، متوقعة أن تلمح السخرية في عينيه كالعادة، لكن، لدهشتها رأت أنه جاد تماماً.

* * *

www.rewity.com

فراشة المحبة

٥ ـ الخادمة

تبيّن أنه يوم جيد.. رغم وجود العم وزوجته، أما حضور الزوجين الآخرين، سترونغ، فقد ساعد كثيراً. فالأربعة الكبار في السن بقوا مع بعضهم، يقيّمون بعضهم البعض بحذر عن طريق أسئلة عفوية، حول العطلات والمنازل، وما إن تمَّ لهم هذا حتى استرخوا وتمتعوا بصحبة بعضهم.

أحبت فيليسا المركب، وجلست لوحدها على سطح مقدمته. بينما كان براند يُخرج المركب من الميناء، ثم انطلق إلى البحر الواسع. داعبت الرياح شعر فيليسا، فحررته من رباطه وخلعت بلوزتها والشورت ورمتهما عبر نافذة إلى إحدى الكابينات خلفها، ثم استلقت على ظهرها، تتنعم بالهواء الذي كان يلطف حرارة الشمس.

بعد إن ابتعد المركب عن الساحل، تقدم منها جان كلود يحمل كوبين من العصير المثلج، فأخذت واحداً منهما تتجرعه بشغف.. جان كلود كان مرافقاً رائعاً، ولأنه من أهل البلاد، ولأن المركب كان يبحر غرباً بمحاذاة الساحل على بعد نصف ميل منه، تمكن من أن يدلها على المناطق المقابلة على الشاطىء.

سألته فيليسا:

ـ ألديك مركب أيضاً؟

ضحك:

ـ مركب.. أجل، لكن ليس كهذا.. مجرد مركب شراعي، إنه يخت

صغير.

كانا قد أنهيا شرابهما منذ وقت، ووقف جان كلود ليحضر المزيد، لكن بينما كان يقف، ارتجَّ المركب قليلاً، فترنّح واضطر إلى الإمساك بالسياج ليستعيد توازنه.. رفعا نظرهما ليجدا أن براند يعطي فريدا درساً في الإمساك بدفة المركب وقيادته، ولوّحت لهما، ووجهها مليء بالإثارة، وارتجَّ المركب ثانية.

ضحك جان كلود:

ـ هل نذهب وننضم إليهما؟

كانت فيليسا سعيدة حيث هي. لكنها فكرت أن من الأفضل الصعود إلى غرفة القيادة لتكون اجتماعية، فصعدت معه حيث كان براند يقف إلى جانب فريدا يستعد للإمساك بالدفة في حال الضرورة. كانت يده على كتفها بطريقة عفوية، لكن فريدا لم تبدُ يوماً أكثر سعادة.

استدار براند يبتسم لفيليسا ويقول:

ـ ربما ترغبين في أن تتعلمي فن الإبحار قليلاً.

وظهر على وجه فريدا الإحباط بشكل سخيف. أحست فيليسا بغضب منهما معاً فقالت باختصار:

ـ لا.. شكراً.. معرفة قيادة مركب من المستحيل أن تنفعني وأنا في لندن.. أليس كذلك؟

التوى فمه قليلاً، وقال لجان كلود:

ـ تولَّ القيادة عني قليلاً.. سأحضر إبريق عصير من البراد.

أخذ جان كلود مكانه وتراجعت فيليسا لتفسح في المجال أمام مرور براند. لكنه وضع يداً ثابتة على ظهرها ودفعها أمامه إلى أن وصل بها إلى المطبخ.. ما إن أصبحا بعيداً عن السمع حتى قال لها:

ـ ماذا دهاك؟

ـ لا شيء.. ظننتك قادم إلى هنا لجلب المزيد من العصير.

ـ حسناً. لماذا هاجمتيني؟

www.rewity.com

ـ لأنني أحسست بالرغبة في ذلك.. وهل يجب أن يكون هناك سبب؟
ـ مع أي إنسان آخر.. لا.. لكن معك أنت، تساورني الشكوك. لكنك محقة، أنت تبدين فعلاً غير منطقية.
ـ أنا لست غير منطقية.
ـ إذن لا بد أن لديك سبباً.
أحرجت فصاحت:
ـ حسناً.. إذا كنت تريد أن تعرف، أنا أكره أن أرى فريدا تستغفل نفسها لأجلك، وأنت تشجعها.
رفع حاجبيه وقال:
ـ وهل أشجعها؟
ـ أنت تعرف جيداً أنك تفعل ذلك.. إنها مجنونة بك!
ـ لكن، ربما أنا لا أعتقد أنها تستغفل نفسها لأجلي.
نظرت إليه بارتياب:
ـ ألا تظن؟
ـ لا.. ربما يعجبني هذا.
اتسعت عيناها غير مصدقة:
ـ هل أنت.. أنت.. جاد معها؟
ـ لماذا تسألين؟ أتجدين هذا صعباً على التصديق؟
ـ لأنني.. أعني.. الأمر أن.. لا أجده هكذا طبعاً...
لكنها وجدت صعوبة في أن تكون لبقة أو مهذبة، خاصة مع هذا الرجل، وأحست بالغضب مجدداً فأكملت:
ـ لأنك لا تناسب فريدا! إنها ليست من وسطك أبداً.
ـ أتعتقدين أنني لن أسعدها؟
كانت على وشك أن ترد رداً لاذعاً، لكن أنفاسها ضاقت في حلقها.. اليوم كان براند يرتدي بنطلون جينز قصير فقط، ويكشف جسده القوي العضلات، كان شديد السمرة وطويلاً جداً، وكله رجولة.. وقالت ببطء:

ـ أنا واثقة تماماً أنك قادر على إسعاد أية امرأة.. إذا أردت.
ـ ألا تظنين أنها إذا أصبحت زوجتي، سأرغب في أن أجعلها سعيدة؟
ـ أوه.. بلى.. لفترة ما. لكن بعد ذلك ستبدأ بكراهيتها لأنها تجهد نفسها لإرضائك.. بعدها ستكون مؤدباً معها فقط.
ـ حقاً؟ أتعرفينني جيداً؟
ـ هذا ما أعنيه بالضبط.. إذا حدثت فريدا هكذا ستحطمها.. فهي حساسة جداً. أتعلم؟
نظر إليها نظرة غريبة:
ـ وأنت؟ لو كنت مكانها، أتحاولين إرضائي؟
ـ لا.. لن أحاول مطلقاً!
ضحك براند، وبدا فجأة أن الحديث كله سخيف:
ـ هذا ما ظننته.. خذي هذا إلى الآخرين معك، أرجوك.
أخرج بضع زجاجات مرطبات من البراد، ووضعها بين ذراعيها، حتى كادت أن توقعها. فيما بعد حاولت فيليسا أن تعرف ما إذا كان جاداً في حديثه أو لا.. لكن الأمر كان لغزاً محيّراً لم تستطع معه أن تقرر، وإذا كان جاداً فسيجعل هذا فريدا سعيدة جداً، لكن فيليسا كانت ما تزال واثقة أنهما غير مناسبين لبعضهما.. إذن فهل تشجع ابنة عمها أم لا؟ أخيراً قررت أن لا تتدخل في الأمر، وتراقب ما سيحدث.
ما إذا كان براند جاداً في علاقته بفريدا، أمر لم يظهر عليه أي دليل. مع أنه أمضى وقتاً طويلاً معها في ذلك اليوم.. لكنه كان يمضي وقتاً كذلك مع كل ضيوفه، بما فيهم فيليسا، إذ جلس قربها حين رسوا في سان تروبيز لتناول الغداء، وجلس معها في مكانها المفضل عند مقدمة المركب خلال عودتهم، وكان جان كلود يتولى القيادة..
لكن اليوم كان رائعاً، العائلة كلها تمتعت، عمها وزوجته اتفقا تماماً مع عائلة سترونغ، وسرعان ما تطور التعارف إلى صداقة.. وأخذ الأربعة يتقابلون معظم الأيام. بطريقة ما وجدت فيليسا نفسها تقوم على مضض

www.bewity.com

بدور الرابعة مع فريدا وبراند وجان كلود. . هم كذلك أخذوا يرون بعضهم كل يوم تقريباً. أحياناً كان هناك ضيوف آخرون، لكن عادة كان الأربعة فقط يخرجون في نزهة بحرية، أو بالسيارة لاستكشاف البلدات على طول الساحل، أو القرى القديمة داخل البلاد المرتفعة فوق الجبال.

كل مجموعة رباعية، طبعاً، تنقسم إلى زوجين. وتوقعت فيليسا أن يحدث هذا مع مجموعتهم، هي وجان كلود معاً. . لكن، منذ البداية، كانوا مجرد أربعة أشخاص دونما تفريق، يتبادلون المواقف باستمرار، كما لو كانوا في رقصة جماعية. . مع أن التصرف لم يكن واضحاً، إلا أن فيليسا لاحظت أن براند هو الذي كان يدبّر هذا. وتساءلت ما إذا كان يريد أن يعطي نفسه وقتاً أطول قبل أن يورط نفسه بأية علاقة. . فعلى أي حال، لا يعرف فريدا حقاً منذ وقت كافٍ. وبكل تأكيد، لا يتصرف معها بطريقة المحبين. وغالباً ما كانت تحاول البقاء مع جان كلود، كي يمضي براند وقتاً أطول مع فريدا، لكنها، وبطريقة ما، كانت تجد نفسها دائماً ضحية مناوراته لينفرد بها.

فريدا، بالطبع، كانت في السماء السابعة. . كانت مقتنعة أن براند فعلاً معجب بها، وتفتعل الضجيج حول مظهرها وملابسها، تشعر بأنها أنيقة ومرتبة طوال الوقت. لم تكن تجلس في مقدمة المركب كيلا يطير الهواء شعرها، أما بشرتها فقد تحولت إلى لون أسمر خفيف. . كان من المثير رؤية الطريقة التي تجهد فريدا فيها نفسها لإرضاء براندون، تصغي إلى كل شيء يقوله بانتباه، وتوافق دائماً على آرائه واقتراحاته بالنسبة لتسليتهم، حتى ولو كانت تعرف أنها لن تتمتع به. . . من بينهم، على الأرجح كان جان كلود المستفيد الأكبر من نزهاتهم، كرجل فرنسي، كان يلتقط كل ما يجري، ويجد فيه تسليته، لكن دون إبداء رأي أو تعليق. ومع أنه يعرف الكثير من الناس في المنطقة فقد بدا قانعاً بصحبتهم في أي وقت يقترح عليه براند أن يرافقهم. وتعجبت فيليسا لأمر جان كلود: يبدو أنه لا يعمل شيئاً، ولا يتحدث عن مهنة له، ومع أنه ينحدر من عائلة

أرستقراطية قديمة، إلا أنه لم يمتلك يوماً الكثير من المال، فهو يترك لبراند أمر دفع الفواتير في كل الأوقات تقريباً. فلماذا يمضي معظم وقته معهم؟ فريدا كانت تبدو بشكل واضح متيّمة ببراند، وفيليسا ليس لديها المال. . لكن ربما لا يعرف هذا. الفكرة هذه أدهشتها، لكنها افترضت أن من الممكن أن يكون جان كلود قد خمّن أن من المسلّم به أنها ثرية لمجرد أن فريدا ثرية. . وضحكت في نفسها. سيكون من المثير جداً رؤية ردة فعله حين يكتشف أمرها.

اليوم التالي كان يوم الجمعة، يوم حفلة آل لامب. كانوا قد دعوا كل من يعرفونه في الريفييرا، وهذا يشمل أشخاصاً التقوا بهم خلال الأسبوعين الماضيين فقط. استأجروا الخدم، ومتعهدي الطعام والشراب لتلك الأمسية. مع ذلك، فقد تمكنت العمة هيلين من أن تبقي فيليسا، تتجول على قدميها طوال اليوم، تساعد في تحضير غرف الضيوف، لمن سيبقى ليلة هناك وتنسق الزهور، وتنقل التعليمات إلى عمها، مما زاد في انزعاجه، وبقيت باختصار مشغولة على الدوام لمجرد أن العمة هيلين لم تكن تستطيع رؤيتها مرتاحة.

هكذا تأخرت في النزول، وكانت الحفلة قد بدأت حين وصلت غرفة الاستقبال. كانت فريدا قد أبدت الكرم نحوها ومررت لها فستاناً حريرياً تركوازي اللون دون أكمام، لم يكن يليق بها، وتصورت أنه لن يليق بفيليسا كذلك، وإلا لما كانت لتعطيه لها. لكن اللون التركوازي الشاحب كان أكثر من مناسب ليكمل جمال لون شعر فيليسا، ويظهر سمرتها الذهبية. كان كبيراً قليلاً على مقاسها، لكن القماش الحريري الناعم بدا أفضل شكلاً وهو يتدلى بطيات منفلتة، كما أنها ربطته بحزام ذهبي عريض حول خصرها النحيل. وانتعلت حذاء سهرة ذهبي عالي الكعبين، ورفعت شعرها في «شينيون» عادي، تسللت منه خصلات رفيعة رائعة.

كان معظم الضيوف في الحديقة أو على «التراس». كانت الأشجار مزينة بمصابيح ملونة، ومصابيح صينية من الورق الملوّن وجدوها في

www.liilas.com

مخزن الڤيلا. توقفت فيليسا قرب باب زجاجي، تنظر إلى المنظر أمامها. الأنوار، الضيوف، الضحك، الحديث الذي يدور وكأنما الحياة متوقفة عليه، شاهدت فيليسا فجأة براندون هاثيون، يرتدي سترة سهرة سوداء هذه المرة، يتحدث إلى الزوجين سترونغ، قرب البركة، وتعجبت لماذا لم تكن فريدا معه، إلى أن شاهدتها مع جان كلود، يقدمها إلى بعض الأصدقاء ممن أتوا بصحبته... راقبت فيليسا ابنة عمها، وشفتاها ملتويتان لشعورها بتسلية حقيقية. كانت فريدا تحاول أن تكون مؤدبة ومهتمة، لكن، كان واضحاً من طريقة استمرارها بالابتعاد عن المجموعة أنها تتحرّق شوقاً للعودة إلى براند وأخذه لتعرفه إلى جميع من كان هناك على أنه رجلها وحدها.

- لا بأس عليك سندريلا.. بإمكانك دخول الحفل الراقص.

التفتت فيليسا لترى أن براند صعد السلم الصغير ومدّ يده إليها. فتحولت عيناها إلى فريدا، لترى أنها أفلتت من المجموعة وركضت مبتعدة ثم تجهّم وجهها بسرعة حين رأت أن براند قد اختفى.. ثم تحول إلى الغضب حين عرفت أين ذهب. تجاهلت يده الممدودة، وبدأت تهبط السلم قائلة ببرود:

- سندريلا كانت ترتدي ثياب رقص وصندالاً من زجاج.

- ومن دون شك كانت تبدو جميلة مثلك.

- هذا الفستان لفريدا.

أمسك ذراعها بقوة:

- وهل تبادلتما الفساتين؟

ضحكت بحدة:

- أنت تمزح! تفضل الموت على أن تُرى في ثوب من أثوابي. لا.. هذا واحد من الفساتين التي تريد الخلاص منها.

- ومع ذلك أخذته؟

- طبعاً، فأنا معتادة على ارتداء ثيابها القديمة.. فهي ترسلها إليّ منذ

كنت صغيرة.

- توقفي عن محاولة إبعادي عنك.. فلن تنجحي.

ارتفعت عيناها بسرعة إلى وجهه:

- ماذا تعني؟

- أعني.. أن لا شيء تقولينه سوف يصدمني.. لذلك لا...

صمت بوجود فريدا:

- فيليسا، «مامي» تريدك.

ثم دسّت يدها تحت ذراع براندون قائلة:

- تعال لتقابل أصدقاءنا المقيمين في «كان». إنهم يتوقون للتعرف إليك.

نظر إلى فيليسا نظرة سريعة لم تستجب لها، ثم ترك فريدا تقوده بعيداً. زوجة عمها، بالطبع، لم تكن تريدها أبداً.. فأخذت تجول بين الحضور تتحدث إلى من تعرفهم، وإلى من قدم نفسه إليها إلى أن حان وقت العشاء، فجأة جاء جان كلود ليأخذها إلى غرفة الطعام حيث أقيم «البوفيه».. كان الطعام رائعاً، مع سخاء كامل، وكان على فيليسا أن تعترف أن زوجة عمها تعرف كيف تكرم ضيوفها وتستقبلهم.

أخذ كل من فيليسا وجان كلود، طبقيهما المليئين إلى الحديقة، وجلسا إلى إحدى الطاولات. حيث سألته:

- أتتمتع بهذه الحفلة؟

- طبعاً.. كثيراً.

- لم أحضر حفلة مثل هذه من قبل، أترى، لا أحد يدعو الخادمة إلى مثلها.

قطب حاجبيه وقال:

- وهل دعوا الخادمة؟

- أنا الخادمة.

ارتفع حاجباه:

www.rewity.com

- لكنك ابنة عم فريدا . . أليس كذلك؟

- بلى . . لكن ليس لدي مال . . أتفهم هذا؟ لهذا فعمي هاري يدفع لي أجراً لأكون خادمتهم الخاصة، ورفيقة فريدا وهم هنا.

لدهشتها هز جان كلود رأسه:

- ترتيب جيد جداً . . عملي. نحن الفرنسيون شعب عملي جداً.

نظرت إليه فاقدة صبرها وقالت:

- ألا يزعجك أن أكون فقيرة؟ وأن ليس لدي المال؟

جاء دوره في الاندهاش.

- لا . . ولماذا أنزعج؟ لايمكن للجميع أن يكونوا أثرياء.

- وهل أنت . . أعني . . ثري؟

نظر إليها شزراً، دون أن يبدو سخيفاً:

- آه . . فهمتك! تريدين أن تعرفي ما إذا كنت صائد ثروات؟

إذا كان يحاول إحراجها فإنه لم ينجح، نظرت إليه مترقبة، فابتسم وقال:

- لا . . أنا لست ثرياً بمالي. كان لعائلتي الكثير من المال والأملاك يوماً . . لكن لم يعد لها شيء الآن . . . إذن، فهل أبحث عن زوجة ثرية؟ أعترف أنها فكرة رائعة، لكنني لست مستعجلاً، فأنا أتمتع بحياتي هكذا . . وأنا محظوظ بكثرة الأصدقاء، كما أنني غنيّ بهم.

من فوقها قال براند:

- هل لنا أن نرقص؟

لم يعطها وقتاً لتفكر، بل جذبها لتقف، وشدّها نحو الباحة حيث كان هناك بضعة أزواج يرقصون. ثم وضع ذراعاً ثابتة حول خصرها، وبدأ يتحرك مع النغم.

قالت له ساخطة:

- أتسمح؟ كيف نسمح لنفسك بجرّي بعيداً عن جان كلود، لأرقص معك؟

- وما هو الحق الذي تظنينه لك لتكوني فظة لعينة معه؟

رد عليها بغضب، ووجه منجهم، وأكمل:

- وما علاقتك بمن يدفع الفواتير ومن لا يدفع؟

لدى أول اندفاع غاضب له، حاولت فيليسا التحرر منه والابتعاد، لكنه أمسكها بقوة أكبر وشدها إليه بحزم. فحاولت عبثاً دفعه عنها وهما يتحركان:

- لا أريد أن أرقص!

أصبحا الآن في زاوية معتمة من الحديقة فقال:

- حسن جداً.

دونما إنذار سار بها إلى البوابة المؤدية إلى الشاطىء، وأبقى يداً ثابتة على خصرها مما اضطرها إلى السير معه. تقدم في الممر عبر أشجار الصنوبر والزيتون، دون أن يتوقف إلى أن وصلا إلى بقعة عريضة لها منظر يطل على البحر. ثم استدار نحوها يقول بغضب:

- جان كلود صديق لي. ولا دخل لك من منا يدفع عن الآخر، فهذا أمر خاص بيننا . . وما دام الأمر قد وصل بنا إلى هذا الحد، فأنا لا أراك يوماً تعرضين الدفع.

شهقت فيليسا مستديرة لتعود، لكنه أمسك بها:

- أوه لا . . لن تذهبي . . لن تهربي من الإجابة . . لماذا قلت هذا له؟

غاضبة بقدر ما هو غاضب، صاحت به:

- لأنني أريد أن أعرف ما إذا كان صائد ثروات . . فمن المفترض أنني هنا لأحمي فريدا . . و . . .

- كلام سخيف! فأنت لا تهتمين أبداً بمن تتزوج فريدا.

- حسناً . . سأشعر بالأسف عليها بكل تأكيد لو تزوجتك. وبالنسبة لي أنني لا أدفع شيئاً . . حسناً، هذا أمر سهل التعويض عنه . . لن أخرج معك بعد الآن . . أتظن جاداً أنني رغبت في هذا أصلاً . . أتظن؟

- لا؟ لماذا تأتين إذن؟

www.rewity.com

- لأنني أقبض أجري لهذا.. عمي هاري يدفع لي لأخرج مع فريدا، لأتأكد أنك لن تغوي ابنته الغالية!

- حقاً؟ وماذا عن ابنة أخيه الغالية إذن؟

أدركت أنها أثارت غيظه أكثر من اللازم، فحاولت الاستدارة والهرب، لكنه شدها إليه، وضمّها بين ذراعيه.

- إذن عليّ أن أغويك أنت بدلاً منها.. أليس كذلك؟

حاولت عبثاً التخلص، لكنه أمسك بشعرها، وأحنى رأسها إلى الوراء وهو يشدها بقسوة إليه.. حاولت أن تضربه على صدره بقبضتيها الغاضبتين، لكنها كانت مثبتة بقوة على جسده، وحين حاولت إبعاد رأسها، أحكم قبضته على شعرها إلى أن آلمها. فصاحت به:

- أيها الخنزير!

تجاهل غضبها، وحاول السيطرة عليها لتستسلم.. لكنها كانت مصممة أن لا تفعل، كرهته لقوته المتفوقة عليها ولقدرته على إذلالها بسهولة، وتصاعدت دموع الغضب إلى عينيها وهي تقاومه. حين خفف عناقه لها قليلاً، فتحت عينيها ببطء، وقالت بتنهيدة:

- لم.. يكن هذا.. حلماً!

كان براند لا يزال يضع يده على شعرها وينظر إلى عينيها المتراخيتين وسألها بنعومة:

- ما هو الذي لم يكن حلماً؟

- لقد عانقتني من قبل.. في غرفتي ليلة أوصلتني إلى البيت.. ظننته حلماً.. حتى الآن..

خطرت ببالها فكرة، وأجفلت لها فسألت بحدة:

- هل.. هل حدث شيء آخر... لا أذكره؟

ضحك براند بمرح:

- إغراء أن أكذب. لا.. يا حلوتي لم يحدث شيء.. هذا فقط.

وعاد إلى عناقها مجدداً.

هذه المرة لم تقاوم سوى بالكلمات، إلى أن أحست بيده تتمادى، تحررت منه وخطت إلى الوراء، واتسعت عيناها وهما تحدقان به.

قطب براند جبينه، ولم يحاول لمسها ثانية.. فقد كان نصره عليها فارغاً، وهو يعرف هذا.. فمع أنها استجابت لعناقه، إلا أنها لم تستسلم ولم تسمح له بالتمادي. استند إلى الجدار الفاصل بين الممر والمنحدر الممتد نحو الشاطىء الصخري في الأسفل، وأخرج علبة سجائر ليشعل واحدة، ويدخنها بشغف. ثم قال مثيراً نفس الموضوع ثانية وكأن شيئاً لم يحدث:

- أرجو أن تعتذري لجان كلود.

ابتلعت فيليسا ريقها وحاولت الرد لكن بصعوبة: ربما.

وأسندت نفسها بدورها على الجدار بمرفقها ثم نظرت صوب البحر.

قال لها بخشونة:

- لا مجال لربما، ستعتذرين.

ضحكت ساخرة:

- عظيم.. هكذا تبدو تماماً براندون هائيون الذي نعرفه جميعاً.. رجيه!

- هل ستتابعين مرافقة فريدا ورعايتها، لتكسبي من عمك بعض المال؟

هزت كتفيها.

- ليس لديّ خيار آخر، كما أعتقد.

ضحك:

- كلام جميل!

عاد الغضب إلى عينيها:

- لكنني لست مضطرة لقبول شيء منك، سأدفع حصتي في المستقبل.

تأملها دون أي شعور، ثم قال وكأنما لنفسه:

www.rewity.com

- حين أدعوك، تصبحين ضيفتي بقدر ما هي فريدا وجان كلود. . ولا
لا أسمح لضيوفي بالدفع، سواء كانوا نساء أم رجالاً، مفهوم؟
- بكل تأكيد، إذا كان هذا ما تريد.

أرادت العودة إلى الحفلة، لكنها، لم تستطع دفع نفسها إلى الابتعاد. فالتفتت إلى يسارها نحو الخليج حيث كانت الكاتدرائية المرتفعة فوق التل غارقة في الأنوار، والمنازل تتخللها طرقات البلدة الضيقة، تحتها، وعلى الخط الساحلي، كانت هناك المنارة الصغيرة، حيث تنعكس الأنوار في البحر الساكن وكأنها عقد من أنوار ساطعة. كان القمر مرتفعاً يضفي جواً ناعماً فضياً على المشهد. . إنها الريفييرا الفرنسية في ضوء القمر. . وهل هناك أفضل من هذا المكان للحب؟ لكن الطريقة التي عانقها براند بها لم تكن رومانسية أبداً. . التفتت بحدة:

- أنا عائدة.

رمى سيجارته فوق الجدار: حسن جداً.

واستدار يلحق بها، وسط رائحة أشجار الصنوبر الحادة.

كانا قد ابتعدا أكثر مما ظنت، واستغرقهما تسلق الممر المنحدر عدة دقائق. كانت الفرقة الموسيقية الصغيرة التي استخدمها العم هاري لإحياء الحفلة، تستريح حين وصلا إلى الحديقة، ولم يكن هناك شيء يلهي العيون الفضولية التي أخذت تراقبهما. ولم يهوّن براند الأمور بوضعه ذراعه حول خصرها وهما يجتازان المرجة. . وحاولت فيليسا الابتعاد، لكنه أبقاها بحزم إلى جانبه. . تطلعت حولها تأمل أن لا تكون فريدا قريبة، لكن ابنة عمها خرجت لحظتها إلى الشرفة، تفتش عن براندون، وتجهم وجهها لمشاهدتهما معاً.

حاولت فيليسا تلطيف الموقف قدر استطاعتها، فرفعت يدها تلوح لها وتنادي:

- هاي! كنا نبحث عنك. . أين كنت؟

تقدمت فريدا نحوهما بارتياب:

- كنت في الداخل.

ونظرت إلى براند بحرارة:

- أكنت تريدني؟

ردت فيليسا:

- هناك شيء يريد سؤالك عنه. . أليس كذلك يا براند؟

لحسن حظها وافقها.

- أجل. . كنت أتساءل عما إذا كنت ترغبين في قضاء اليوم في مينتون غداً؟ أربعتنا طبعاً.

كانت خيبة الأمل في عيني فريدا واضحة للعيان، وأحست فيليسا بشعلة غضب لأن ابنة عمها لا تستطيع أبداً إخفاء مشاعرها. فقالت فجأة:

- أرجو أن تعذراني.

وابتعدت، لتتركهما معاً، لكن حين عادت الفرقة الموسيقية للعزف، لاحظت أن براند راقص امرأة أخرى قبل مراقصة فريدا.

جلست فيليسا على جدار الشرفة، عيناها مسمرتان عليهما وهما يتمايلان مع الموسيقى. كان براند يمسك بفريدا عن بعد، ورأسه يميل إلى جانبه يصغي إلى كلامها المفعم بالحماس، المرفق بإشارات من يدها. . كان، دون أي شك الأطول قامة والأكثر وسامة هناك، سمرته بارزة، وجسده الرشيق يتحرك بخفة، يجتذب نظر كل امرأة في المكان. هناك شيء فيه يجذب عيون النساء، رجولته مكتملة النساء يتعرفن عليها بالغريزة، وتثير فيهن الخيال لكن رجولته هذه كانت مخبأة تحت عدة طبقات من التمدن وحسن الأخلاق، أحست أنه بالرغم من إصغائه لفريدا، لم يكن يعطيها اهتمامه الكامل، بل إنه كان مؤدباً بحيث لا يمكن أن يكون إلا لطيفاً مع أية امرأة. . ما عداها هي. . فقد كان فظاً بالكامل معها، وفي أكثر من مناسبة. . وهذا ما تتذكره بسخط.

وكأنما كان هناك توارد خواطر من نوع ما بينهما، فقد اختار براند تلك اللحظة بالذات ليرفع رأسه، فالتقت عيناه بعينيها، وأسرتهما. . كان

www.rewity.com

بعيداً جداً عنها لكنها أحست بنوع من التحدي في نظرته، فارتفع رأسها بتحدٍ فوري مماثل. كانت تكاد تحس بذراعيه حولها، والقوة الغريبة التي في يديه وهو يضمها بين أحضانه.. احمرّ وجهها حين أدركت أنه كان يريدها أن تتذكر، وبرقت عيناها غضباً لكنها لم تبعد نظرها عنه، كانت ترفض السماح له بالتمادي في إحراجها.. ومن سيربح المعركة في النهاية هذا أمر لم تعرفه قط، ففريدا التي أحست ببطء حركاته، جذبته ليستدير، ولم تعد فيليسا ترى سوى ظهره.

لما تبقى من الأمسية، بقيت مبتعدة، وهذا أمر سهل. لأن براند لم يحاول الاقتراب منها مجدداً.. مع أن جان كلود تقدم منها فيما بعد يدعوها للرقص، فنظرت إليه بإحساس من الذنب:

- هل أنت واثق مما تريد؟

- طبعاً.. ولماذا لا أرغب في أن أرقص معك؟

ولفّ ذراعه حول وسطها، فقالت:

- كنت فظة معك منذ قليل.

هزّ كتفيه دون اكتراث:

- بإمكان أي رجل مسامحة امرأة جميلة في أي شيء.

- حسناً، يجب أن تكون غاضباً.. يقول براند إن عليّ الاعتذار منك.

رفع حاجبيه وقال:

- وهل ستطيعينه؟

- بالتأكيد لا! لا يمكنه إعطاء الأوامر لي! ولو أنه لم يعطِ أوامره لكنت قلت لك إنني آسفة.

ضحك الفرنسي بابتهاج:

- حسناً لقد أرضيت كرامتي.. وأنا أسامحك، لكن ليس لأنك امرأة جميلة.. أنتم الإنكليز.. لن أفهمكم أبداً!

تغير إيقاع الموسيقى إلى نغم سريع، وبدأت الحفلة تنتعش. رقصت فيليسا مع الجميع تقريباً، وتركت نفسها تنسجم مع الموسيقى، مثلها مثل

بقية الراقصين. لكنها كانت تحسُّ بعزلة غريبة، وكأنما نصف نفسها فقط تشارك، وحين عصف المرح برؤوس الكثيرين، وقفزوا في ماء البركة، دخلت فيليسا إلى المنزل وجلست تخلع حذاءها، وترفع قدميها.. عبر الأبواب الزجاجية، كانت تسمع صيحات التشجيع والصراخ المرتفع لفتاة محمولة تلقى في الماء. وكانت فريدا هناك، وتعرفت فيليسا على ضحكتها، لكن يبدو أنها لم تنزل الماء بعد، ولن تفعل، إلا إذا نزل براند أولاً، ولم تستطع أن تتصوره يفعل هذا.

كانت محقة.. فبعد ما يقارب العشرين دقيقة، سمعت صوته في الردهة، يقول وداعاً لبعض الضيوف المغادرين، وصوت فريدا كذلك.. ثم قال براند:

- أتوقع أن تكوني متعبة في الصباح، لذلك لن نأتي لنأخذكما قبل العاشرة والنصف.. أيناسبك ذلك؟

سمعت فيليسا تردد فريدا:

- أجل... طبعاً... يا براندون...

- أين هي فيليسا على أي حال. لم أودعها بعد.

- لا أعرف.. أعتقد أنها ذهبت للنوم.. براند... أنا...

ضحك بسرعة:

- وهل ستختصرين اسمي أنت أيضاً؟

- أوه.. لا.. أحب اسم براندون.

- شكراً لك.. أراك في الغد.. ستقولين لفيليسا عن الموعد.. ألن تفعلي؟ وأشكرك ثانية على هذه الأمسية الرائعة.

سمعت فيليسا الباب يغلق خلفه، فبقيت هادئة صامتة إلى أن تلاشى وقع أقدام فريدا وتمكنت من الذهاب إلى غرفتها بسلام.

* * *

www.liewity.com

فراشة المحبة

٦ ـ حب حتى القتل

خرج اليوم الذي أمضاه الأربعة في مينتون، عن السيطرة، مع أنه بدأ بشكل لا يختلف عن أي يوم آخر. أخذهما براند في العاشرة والنصف، وتوجه بهما إلى الميناء حيث كان جان كلود قد جهّز المركب للانطلاق. كانت فريدا متعبة جداً إثر الحفلة، لكنها كانت مغمورة بالبهجة فتناست تعبها. وجلست في مقدمة السيارة إلى جانب براند تحاول أسر اهتمامه بينما جلست فيليسا في المؤخرة ترفع قدميها على المقعد، تأمل أن يزعجه هذا، لكن فريدا هي التي انزعجت. وعندما وصلوا إلى الميناء، استدارت صائحة:

ـ فيليسا! ستفسدين تنجيد المقعد، انزلي قدميك على الفور!

ردت فيليسا وهي تخرج:

ـ وإن يكن.. بإمكانه تحمل شراء مقعد جديد، ألا يستطيع؟

لم تكن المسافة البحرية بعيدة من مونت كارلو إلى مينتون، ما إن ابتعد المركب عن بقية المراكب، حتى أعطى براند الدفة إلى جان كلود وانضمّ إليها في مكانها المعتاد في المقدمة، وتمدد جسده الطويل إلى جانبها:

ـ لماذا تجلسين دائماً هنا؟

ـ لست أدري، أحب الهواء كما أظن.

ـ أم أن السبب هو أن فريدا أمرتك بالابتعاد عني؟

ـ أبداً.. بالطبع لا.

استدارت بقوة لتنكر، وفي نفس اللحظة اصطدم المركب بتموجات صاخبة من مركب آخر، فرمتها الحركة لتصطدم به. لامست كتفها صدره،

على الفور لفّ ذراعيه حولها ليمسك بها، فقفز قلبها بحركة مجنونة.

عاد المركب إلى حركته الهادئة العادية، لكنه لم يتركها.. بل اشتدت ذراعاه حولها وقال بخشونة:

ـ فيليسا...

رفعت بصرها إليه، لترى النار في عينيه. بسرعة، جذبت نفسها منه، واستدارت حتى أصبح ظهرها مواجهاً له:

ـ أجلس هنا لأنني أحب أن أكون لوحدي.

ـ طبعاً.. كان يجب أن أتذكر كم تجدين رفقتنا مملة.

لم يبدُ عليه الغضب، ومدّ يده ليمرر إصبعه الطويل على شعرها.. ووجدت فيليسا أنها لا تتحمل لمسته فاستدارت بسرعة، تواجهه:

ـ لا تفعل هذا!

كان ينظر إليها نظرة غريبة، فيها التسلية، وشيء آخر لم تفهمه، وسأل:

ـ لمَ لا؟

ـ لأن هذا لا يعجبني.. بالطبع.

ـ ألا يعجبك؟ أم أنك لست منيعة ضدي كما تحبين أن تظني؟

أخذ قلبها يخفق مجدداً، لكنها أجابت ببرود:

ـ أنت لا تثيرني إذا كان هذا ما تعني.

ـ لا؟ إذن لماذا العجلة في الابتعاد عني؟

ـ لأنني لا أحب أن يلمسني أحد...

كان جفناه نصف مغمضتين بسبب الشمس، فلم تتمكن من معرفة ردة فعله، لكنه قال بكسل:

ـ أنت معقدة المشاعر! يجب على الرجل أن يهزك بعنف ليعيد كل شيء فيك إلى طبيعته مجدداً... ما الذي تحملينه ضد الرجال..

استرخت قليلاً، وجلست بعد أن كفّ عن محاولة لمسها مجدداً:

ـ وما الذي يجعلك تظن هذا؟

www.rewity.com

ـ لأنه بارز جداً. . في وقتٍ ما، تألمتِ، وأقمت جداراً حول نفسك عليه يافطة «ابتعد».

ـ إذن، لماذا لا تقرأ اليافطة جيداً؟

ضحك:

ـ أوه. . أنا لا أتمكن أبداً من مقاومة التحدي.

رغبت في أن تضربه، لكنها قالت بغضب مرير وبعينين زرقاوين لامعتين. . .

ـ أنت تحب التلاعب بعواطف الآخرين. . أليس كذلك؟ تجد من المرح أن تكون السيد الأعلى وأن تتلاعب بهم. لكن، لا حاجة لأن تعتقد أنك قادر على فعل هذا معي لأنني. . .

وسكتت فجأة بعد أن جلس وأمسك ذراعها بقوة:

ـ أنا لا ألعب أي نوع من الألعاب وخاصة معك.

حاول قول شيء آخر، لكن كلماته ضاعت لارتفاع صوت الصفارة فوق رأسيهما بإنذار مهيب. نظر براندون حوله ليرى مركباً شراعياً يلاقي بعض الصعوبات أمامهم مباشرة، والصاري غائص في الماء. أسرع راكضاً يتولى قيادة الدفة، ثم أوقف المركب إلى أن تأكد أن كل شيء أصبح على ما يرام قبل الانطلاق مجدداً. أصبحوا الآن قرب ميناء مينتون، فبقي براند في غرفة القيادة إلى أن رسا المركب بسلام.

كانت مينتون جميلة جداً، وتحافظ على طابعها القديم، وشوارعها الضيقة الملتوية بين المباني القديمة المتصاعدة على كتف التل الحادّ، فيها مداخل أبواب مربعة الشكل تحيط بها أحواض زهور وراءها أزقة صغيرة غامضة الشكل لها أدراج قصيرة يحيط بها جو من الهدوء والقدم يبعدها تماماً عن هشاشة الحداثة وحياة السرعة التي في مونت كارلو.

تناولوا الشراب في مقهى عند الميناء قبل البدء في رحلة استكشاف، وجالوا عبر السوق حيث الفاكهة من كل لون وأكوام الخضار، وتابع الأربعة تجوالهم، يتوقفون بين الحين والحين ليتفرجوا على منظر هنا أو

هناك، وهم يتسلقون السلم الموصل إلى الكاتدرائية، وقال براند لدى وصولهم إلى الباحة:

ـ إنهم يقيمون حفلات موسيقية بين فترة وأخرى هنا. . يجب أن نحضر لنشاهد إحداها.

ردت فريدا بحماس:

ـ أوه. . أجل. . أرجوك!

ثم رأت لافتة فوق باب:

ـ انظروا! إنه دكان لبيع المصنوعات الحرفية. . . دعونا ندخل!

نظرت إلى براند وكأنها تطلب الإذن، فهز رأسه ولحق بها. لكن فيليسا لم تفعل، ليس لأنها لا تحب مثل هذه المحلات، وإنما لأنها لا تستطيع تحمل شراء شيء منها، هكذا استمرت في السير لتتفرج على منظر السقوف الحمراء القاتمة والبرتقالية تحتها، مشت وهي مأخوذة بالمناظر وأكملت تجوالها صعوداً في أحد الأزقة الضيقة. بعد دقيقتين، انضمّ إليها براندون. وقال لها وهو يقودها ليستديرا عبر زاوية إلى زقاق آخر:

ـ هناك مقبرة قديمة مثيرة عند قمة التل هناك.

ترددت لحظة:

ـ أين فريدا؟

ـ إنها تشتري شيئاً برفقة جان كلود، سيلحقان بنا.

كانت المقبرة تقبع تحت ظلال أشجار سرو سوداء ضخمة، وبدت كأنها مزروعة على حافة التل خلف البلدة القديمة تماماً. . وصاحت فيليسا متأثرة:

ـ يا للسماء! أرجو أن لا يكون هناك انهيارات أرضية هنا، وإلا لوجد الناس أقاربهم الموتى وقد عادوا إلى بيوتهم مجدداً!

اهتز براند بالضحك:

ـ ما هذه الفكرة المخيفة! ألا تجدين المقابر مثيرة للحزن؟

هزت رأسها:

www.rewity.com

ـ ليس تماماً. ليس والشمس مشرقة.. هناك مقبرة قديمة تجاور مكان سكني في لندن.. وهي مقفلة منذ سنوات وتملأها الأعشاب الكثيفة، وهكذا فهي مليئة بالطيور والفراشات في الصيف.

جذبها نحو مقعد خشبي في ظل شجرة كثيفة الأغصان.

ـ أتذهبين إلى هناك دائماً؟

ـ أحياناً.. حين يصبح منزلنا باعثاً على الملل.

ـ وهل أنت من عائلة كبيرة؟

ـ لا.. أمي وأنا فقط.

ـ والدك ميت؟

ـ لست...

صمتت، فقد عرفت أين ستقودها أسئلته، ثم سألت:

ـ أين الآخران؟

وقفت تحاول الابتعاد، فأمسكها:

ـ سوف يجداننا.. اجلسي هنا في الظل.

أطاعته ببطء، لكنه لم يترك يدها، ونظر إليها وكأنه يجدها ساحرة.

ـ ماذا تودين أن تفعلي بعد الظهر؟ هناك مدرسة تزلج على الماء هنا. ألم تجربي هذا بعد؟

ردت بحماس:

ـ لا.. أود أن أفعل، لكن ماذا عن فريدا؟ قد لا ترغب في هذا.

ـ أنت تريدين وسنفعل.

أدار لها يدها ليحني رأسه ويقبل راحتها.. حدقت به وفمها مفتوح من الدهشة، فمال ثانية وقبّل خدها بلطف، لكن ما فعله كان كافياً ليدفعها إلى الابتعاد متوترة.

ـ لابد أن فريدا تبحث عنا الآن.

عادا في نفس الطريق الذي سلكاه، دون ظهور أثر للآخرين، فقالت:

ـ لا بد أنهما عادا إلى المركب.

ـ أشك في هذا.. لا بد أننا أضعناهما في مكان ما.. الساعة الآن تقارب الواحدة، وأقترح أن نجد لنا مكاناً نتناول فيه الغداء.

ـ لكن، يجب أن نجدهما أولاً.

ـ ولماذا؟ مِمَّ أنت خائفة؟ من أنك لا تقومين بواجبك نحوها، أم أنها ليست هنا لتراقبك؟

ارتفع فمها:

ـ أنا لست بحاجة لمن يراقبني!

ـ جيد إذن.. فلنذهب ونأكل.

وجدا مطعماً قرب الشاطىء حيث جلسا في الخارج تحت مظلة كبيرة، وتناولا حساء السمك الذي لم تكن قد ذاقت منه من قبل. وسألها:

ـ أعجبك؟

ـ همم.. إنه لذيذ، إنه مصنوع من أنواع مختلفة من السمك، أليس كذلك؟

ـ صحيح، إنه اختصاص منطقة المتوسط.

بعد دفع الفاتورة، قادها إلى شاطىء خاص قريب، حيث استأجرا أريكتين خشبيتين تغطيهما مفارش سميكة، ووضعهما قرب بعضهما، فخلعت فيليسا حذاءها وفستانها الخفيف، ثم مدت يدها لترفع شعرها الكثيف بعيداً حتى مؤخرة عنقها، لوته ليصبح كتلة واحدة وثبتته برباط.

تنفس براندون فاستدارت لتراه يتطلع إليها. وقال بصوت أجش:

ـ أنت... كاملة.

بسرعة استلقت على وجهها فوق الأريكة الخشبية، وقالت:

ـ ظننتك ستأخذني للتزلج فوق الأمواج؟

ـ الأفضل أن ترتاحي قليلاً بعد الطعام...

استلقت على ظهرها، وتسارعت نبضاتها. إنها جذابة للرجال، وتعرف هذا، شعرها الأحمر القاتم، وجسدها النحيل المستدير يعطيان التأثير الصاعق، ولطالما شاهدت الرغبة في عيون الرجال. لكن هذا لم

www.rewity.com

يؤثر عليها يوماً كما اليوم. حين كان يرغب رجل فيها، كان يقع ضمن سيطرتها، وتستغله، وحين يدرك ما تفعله، كانت تتركه، وبكل سهولة وبساطة. لم تكن تؤمن أن بالإمكان أن يكون هناك صداقة أفلاطونية بين الرجل والمرأة، فما من رجل خرجت معه من قبل، لم يحاول التحرش بها، عاجلاً وليس آجلاً. صحيح أنها لا تعرف الكثير من الرجال، فأمها أرسلتها إلى مدرسة خاصة للفتيات، والذين التقت بهم من الجنس الآخر، كانوا من زملائها في مدرسة التجميل وتصفيف الشعر، وكلهم كانوا إما يهتمون بأنفسهم أو برجال مثلهم، دون الفتيات. والرجال الذين قابلتهم منذ ذلك الحين لم يهتموا سوى بشيء واحد، كما كانت أمها تقول لها دائماً. وهكذا، استغلت من استطاعت استغلاله، وتجنبت القلة التي أحست أنها لا تسمح بأن يستغلها أحد، وبقيت منيعة ضد الرجال جميعاً.. حتى الآن... كانت نبضاتها تتسابق للبروز وضربات قلبها تزداد عنفاً.

مشاعرها عادت بالتدريج إلى طبيعتها وهي تحذّر نفسها من أن تكون حمقاء.. فمثل هذه المشاعر قد تكون خطرة، وقد تضعف مقاومتها.. براند لا يختلف عن بقية الرجال.. كلهم يستفيدون من أقل ضعف.. وليس هناك جدوى من تصور شيء من كل هذا، وهو غير موجود.. حسناً.. إنه يؤثر عليها، وماذا في ذلك؟ لن يحدث شيء من كل هذا.. إنه من النوع الذي لا يتزوج سوى من الثريات أمثال فريدا أو من فتاة تنتمي إلى طبقة أرفع، تعرف عائلتها عائلته.. أمثالها من الفتيات قد يجتذبنه ليجعل منهن عشيقات له لفترة ما، لكنه سرعان ما يتركهن ليتعد، تماماً كما فعل والدها مع أمها.. ولن تسمح لأحد أن يستغلها، لن تفعل! ولن تسمع أمهانقول لها: قلت لك هذا!

حرارة الشمس، وهدوء الشاطىء كان لهما تأثير كبير، أغمضت جفنيها، لتغطّ في نوم عميق، ولم تستيقظ منه إلى أن كاد الظل يغلب الشمس.. ففتحت عينيها ناعسة، لترى براند يجلس على أريكته الخشبية، يواجهها، وعيناه تتفحصانها بكسل، فانتظرت إلى أن وصلت عيناه إلى وجهها، واستعدت لتعلق تعليقاً ساخراً لاذعاً حول تفحصه لها، لكن بطريقة ما، وحين التقت عيونهما، أحست بالكلمات تموت في حنجرتها.. ربما لأنه لم يكن لديه رغبة في طريقة تفحصه لها، بل كان هناك حنان غريب، غريب لأنها لم تعتد على رؤية مثله في نظرة الرجال إليها.. ومدَّ يده ليمسك بيدها:

ـ مرحباً.

ـ هل نمت طويلاً؟

ـ ساعة تقريباً. بدأت أخشى عليك من أشعة الشمس.

ـ أظن أن لوني الآن شديد السمرة ولن تؤثر عليّ الشمس.

ـ أستطيع تدليكك ببعض الزيوت إذا شئت.

جلس على المقعد الخشبي، ورفعت ركبتيها إلى ذقنها حتى أن معظم جسدها أصبح مختبئاً عن نظره، وسألت بصوت مرتجف:

ـ ألن نجرب التزلج على الماء؟

ضحك بصوت منخفض، ووقف يجذبها لتقف معه:

ـ طبعاً.. وفي الحال.

سارا فوق الشاطىء الرملي إلى حيث مدرسة التزلج، فاستأجر زلاجتين واستغنى عن خدمات المعلم، قائلاً إنه سيعلمها التزلج بنفسه.. وكان المرح عظيماً حين تمكنت من التزلج، لكن إلى أن توصلت إلى هذا، كانت قد أمضت معظم الوقت وهي تقع في الماء، لكن براند كان دائماً هناك ليساعدها على العودة مرة أخرى، وأدركت لماذا لم يرغب في الاستعانة بالمدرب. بعدما يزيد عن الساعة تمكنت من التوازن بشكل أفضل، وأخذت تتمتع بالتزلج فوق قمة الأمواج خلف براند، تدير الشراع الكبير لتلتقط الريح.. وكان العمل صعباً على ذراعيها وعضلات ساقيها، ومع أنها احتجّت إلا أنها كانت سعيدة حين أصرّ على الاكتفاء بما قاما به في أول يوم تزلج.

www.liilas.com

بينما كان يعيد الزلاجتين، سبحت فيليسا إلى الطوف الخشبي الراسي في منتصف الخليج.. لكن ذراعيها كانتا متعبتين، وكان عليها أن تمسك بأحد الحبال على جانب الطوف لتستريح، قبل أن تجذب نفسها فوقه، وسرعان ما سمعت صوت تقاذف الماء وبرز رأس براند إلى جانبها.

- هل أنت بخير؟

- أستريح قليلاً فقط.

- فتاة طيبة.

هزت فيليسا رأسها فتطاير الماء نحوه، وقالت ضاحكة:

- أحسّ وكأنني حورية بحر.

لفّ ذراعه على وسطها وشدّها إليه، وقال لها وعيناه تبتسمان بخبث:

- كم أنا مسرور لأنك لستِ حورية بحر..

كان الوقت قد أصبح متأخراً، معظم الناس كانوا يتجهون إلى سياراتهم أو فنادقهم، وهكذا كان لهما الطوف لوحدهما، فجلسا برفقة صامتة لفترة، يراقبان الحركة على الشاطىء، والشمس شديدة الحرارة على ظهريهما.

ما إن وصلت فيليسا إلى الشاطىء، حتى استقبلها صوت فريدا الساخط الغاضب:

- إذن ها أنتما..! كنا نبحث عنكما في كل مكان. أيجب أن تتباهي بنفسك؟

لكن جان كلود نظر إليها بإعجاب واضح، وانحنى يقبل يدها بكياسته الفرنسية ويهمس:

- شارمانت! (فاتنة)

التفتت فريدا إلى براند تحاول إخفاء غضبها:

- ماذا حدث لكما؟ حين افترقنا توقعت أن تعود بها إلى المركب.. فذهبنا إلى هناك ننتظر.

كان صوتها يرتجف وهي تنظر إليه. وتقدمت فريدا نحوه تدسّ ذراعها

في ذراعه.

- من العار أن نفترق.. كان يمكن ليومنا أن يكون ممتازاً. أرجو أن لا تكون قد أحسست بالسأم أو بالإحراج.

أزالت فيليسا ماء البحر عن نفسها في حمامات الشاطىء، وفعل براند مثلها، بينما انتظر الآخران.. ثم ارتدت فيليسا ثوب السباحة، وتنورة فوقه، وتركت شعرها ينفلش على كتفيها ليجف. ثم توجهوا إلى مقهى قريب لتناول الآيس كريم.. وتمنّعت فريدا في البداية، لكن جان كلود أخذ يمازحها وشجعها براند إلى أن استسلمت وأخذت تتمتع بطبق كبير مليء بمختلف أنواع الفاكهة المثلجة والكريما والجوز والبندق.

سأل براند:

- ماذا ترغبون أن نفعل هذا المساء؟

بطريقة عفوية، مدّ يده خلف كرسي فيليسا وأخذ يتلاعب بخصلة من شعرها، ويلفّها حول إصبعه.

- يوجد كازينو هنا. ما رأيكم أن نتناول وجبة طعام في مكان ما ثم نذهب إلى الكازينو، ونبحر إلى مونت كارلو ليلاً؟ منظر الأضواء على الخط الساحلي ساحر في الليل.

كان ينظر إلى فيليسا حين أنهى كلامه، لكنها بقيت صامتة، وتركت فريدا تقول بحماس:

- تبدو فكرة ممتازة! سأحب أن أفعل هذا! لكنني لم آتِ بفستان ألبسه.

- حسناً.. هذا أمر سهل، المحلات ما زالت تفتح أبوابها.

وجدوا محلاً لبيع الثياب في مكان قريب، واشترى براند لكل منهما فستاناً. اختارت فريدا فستاناً ضيقاً طويلاً بلون كحلي قاتم، مكشوف الكتفين، لا شك ظنته سيعطيها المظهر الأنيق، وأخذت تستعرض نفسها به أمام الرجلين، بإثارة بالغة. بينما فتشت فيليسا بين المعروضات لتختار فستاناً أبيض بسيطاً مرتفع الياقة وتنورة مضمومة عند الأرداف، تسترسل

www.rewity.com

بتعومة حتى منتصف الساق.. جربته في غرفة القياس، ثم خلعته ثانية، تاركة لفريدا أن تخطف لوحدها الأضواء بعد أن أحست بعقدة ذنب لتركها لها طوال النهار. لم يكن هناك سعر معلق على الفستان، لكن المحل كانت تفوح منه رائحة الفخامة، وترددت، ثم هزت كتفيها، فما كان لبراند أن يعرض عليهما شراء الفستانين لو أنه لا يتحمل ثمنهما.

جاءت البائعة لهما بعدة أزواج من الأحذية لتجربتها. واقتنعت فيليسا بزوج أبيض بسيط عالي الكعبين، بينما اختارت فريدا مزيجاً من اللون الذهبي والفضي. ثم أخرجهما جان كلود بلباقة ليتنظروا في الخارج بينما كان براند يدفع الفاتورة.. حين انضمّ إليهم تعمّد أن يتقدم إلى فيليسا ويضع ذراعه حول خصرها وهم يسيرون عائدين إلى المركب. لكنها بعد بضع دقائق لم تستطيع مقاومة السؤال:

- كم كلفتك هذه الثياب؟

رد ضاحكاً:

- هناك أسئلة يجب أن لا تسألها الفتيات الطيبات.

- لكنني أريد أن أعرف...

- لماذا؟

- لأنني، لست واثقة من أنني أرغب في قبول هدايا منك.

- لا تبدو فريدا ممانعة.

- الأمر مختلف مع فريدا.

- مختلف؟ لا أرى السبب.

بدأت فيليسا تعتقد أنه يتعمد عدم الفهم، فقالت:

- فريدا باستطاعتها شراء أي شيء تريده، وأنا لا أستطيع. وأنت تعرف هذا.

اشتد ضغط أصابعه على خصرها، وقال بصوت متحد:

- أتقولين إن شرائي فستاناً لك هو نوع من الإحسان؟

- حسناً.. أليس هكذا؟

- لا.. أبداً! لماذا لا تتقبلين الأمر بالروح التي عنيتها؟ كنت فقط أزودكما بثياب مناسبة لنستطيع السهر في الكازينو الليلة، وليس لدي دوافع أخرى، مهما كان عقلك المعقد يفكر.

بغضب، وقفت تواجهه:

- لا بأس إذن، إذا كان هذا ما تريدني أن أصدقه. لكن كان أرخص لك بكثير أن تأخذنا إلى المنزل لنغيّر ثيابنا، ثم نذهب إلى كازينو في مونت كارلو.

ردّ براند غاضباً:

- كيف أصرف مالي هو أمر خاص بي، وإذا رغبت في شراء هدايا لك فسأفعل ما يحلو لي.

احمرت وجنتاها:

- لكنني لست مضطرة لقبولها!

فتح فمه ليرد بحدة، وكانت فيليسا مستعدة تماماً لأن ترمي العلبة التي تحتوي الفستان إليه. لكنهما لاحظا أن فريدا وجان كلود يسيران خلفهما، مليئان بالفضول.. فوضع يداً حازمة تحت ذراعها، ودفعها لتسير معه مجدداً.

حين وصلوا إلى الشيميرا، ذهب كل منهم إلى كابينة ليغير ثيابه.

جاء الفستان الأبيض ليكمل جمال لون بشرتها السمراء. عادة، كانت ترتدي ثيابها بسرعة، لكنها هذا المساء أخذت وقتاً طويلاً، واستخدمت مجفف الشعر لتجفف شعرها وتسرّحه بطراز إغريقي يتناسب تماماً مع طراز الفستان. وكان معها في الحقيبة ما يكفي لتقوم بعمل فني لوجهها. كانت تتوقع أن تستدعيها فريدا في أية لحظة لتصفف لها شعرها، وتجمّل وجهها كذلك. لكنها دهشت حين سمعت الباب المجاور ينفتح ثم يُقفل وصوت وقع أقدام فريدا وهي تتوجه نحو السطح.. ولحقت بها فيليسا بعد عشر دقائق لتجدهم يتناولون المرطبات، فريدا في فستانها الجديد، والرجلان في سترتين بيضاوين.

www.rewity.com

كان براند يتكىء على السياج ويضحك لشيء كان يقوله جان كلود. لكن الضحكة ماتت على شفتيه، وتصاعد تعبير آسر إلى عينيه وهو يشاهدها تقف بالباب. ببطء، استقام، وضع كوب شرابه من يده، وتقدّم نحوها، عيناه لا تتزحزحان عن وجهها. أمسك يدها بكلتا يديه، ثم رفعها ليقبلها.. نظرت فيليسا إليه وقلبها يخفق بجنون للدفء الظاهر على وجهه.. فجأة، بدا لها العالم يضيق ويضيق إلى أن يصبح دائرة صغيرة يقفان داخلها. ولم تعد تعي شيئاً سوى قربه منها، ولمسة يديه ليدها. المستقبل كذلك، بدا لها جزءاً من هذه الدائرة.. كل آمالها وطموحاتها، كل شيء يمكن لها أن ترغب به، أو تتوقعه، من الحياة، بدا ممكناً الآن.. وتنهدت تنهيدة عجب طويلة.. ببطء، رفعت يدها الأخرى لتضعها فوق يديه.

- أنت «جميلة جداً» الليلة أيتها العزيزة الفاتنة!

صوت جان كلود كسر دائرة السحر من حولهما، فاستدارت فيليسا تبتسم له، وخداها محمران، أما عيناها فكانتا كالألماس.

- شكراً لك، وأنت تبدو وسيماً كذلك.

ضحك:

- فتاة فرنسية لن تقول هذا أبداً.

أخذها من يدها ليقدم لها كوب مرطبات، قبل أن تجلس قبالتهما إلى جانب فريدا. نظرت فيليسا إلى ابنة عمها لترى أنها ولأول مرة، تجلس هادئة ساكتة، تنظر إلى كوب شرابها، ترد فقط بكلمات مقتضبة حين يكلمها أحد، وبقيت متجهمة هكذا طوال السهرة، في المطعم حيث تناولوا العشاء في الهواء الطلق على نغم فرقة موسيقية تعزف الموسيقى الراقصة الفلكلورية وفيما بعد، في الجو المعاكس تماماً للكازينو بديكوره البرّاق وطاولات القمار.

بدا لفيليسا أن فريدا قد تكون غاضبة لسبب ما، لكنها أبعدت عنها هذه الفكرة، فقد كانت الحياة أمامها الآن مليئة بالوعود، وهذا أمر أدار لها

رأسها.. وبقي براند إلى جانبها طوال الأمسية، يضع دائماً ذراعه حول خصرها بطريقة متملكة، مظهراً رغبته في أن يبقى معها. حين أبحروا بالمركب عائدين إلى مونت كارلو، وكادت تذهب إلى مكانها المعتاد عند المقدمة، قال لها:

- ابقي معي!

بعد تردد لحظة فقط، انضمت إليه قرب الدفة، وتركته يلفّ ذراعه حول كتفيها وهو يقود في الليل الساكن، الذي جولته إلى ليل سحري، آلاف الأنوار المنعكسة على صفحة المياه.

كان الفجر قد أوشك على البزوغ حين وصلوا الڤيلا.. أوصلهم براند في سيارته، هذه المرة جلست فيليسا إلى جانبه. عند الباب، أمسك يدها ليتمنى لها ليلة سعيدة ويقبلها بطريقة فرنسية لبقة.. مع أن ضغط يده قال لها إن لولا وجود الآخرين لكان الأمر مختلفاً. ووقفت فريدا على مضض تنتظرها ليدخلا معاً، وما إن أقفلت الباب، حتى صعدت إلى غرفتها دون قول كلمة واحدة.

تناولت العائلة كلها طعام الغداء معاً، في اليوم التالي. مرة أخرى كانت فريدا هادئة جداً، مع أن أحداً لم يلاحظ هذا، لأنها دائماً هادئة داخل المنزل.. فقد قرأت يوماً أن الرجال يعجبون بالنساء الحيويات، ولهذا كانت دائماً تحاول أن تكون حيوية عندما تكون بصحبة رجل، لكن في المنزل لم تكن تهتم. قبيل نهاية الوجبة، نظرت إليها أمها وسألت:

- أأنت بخير يا عزيزتي؟ تبدين شاحبة؟.. كما أنك تبدين وقد أخذ وزنك يزداد ثانية، لا يمكن أن تكوني مستمرة في حميتك.

- أنا بخير «مامي» فلا تقلقي.

لكن فيليسا لاحظت أن فريدا لم تأكل الكثير من الطعام.

بعد الظهر خرجت الفتاتان مع براند وجان كلود مرة أخرى. لكنهم الآن لم يعودوا أربعة رفاق، بل زوجين منفصلين، أو بالأحرى زوج واحد واثنان غريبان.. لأن براند أظهر أنه يرغب في أن يكون مع فيليسا.

www.liilas.com

هذان اليومان، كانا بداية لعدة أيام، كل منها كان يبدو أفضل من سابقه. وكانت فيليسا تعرف أنها تقع ببطء في حب براند، وتنتظر بشوق أن تراه، وقلبها يخفق لأكثر الأشياء سخافة: حين تراه، حين يتلامسان صدفة، أو فقط حين تلتفت لتجده ينظر إليها تلك النظرة الدافئة الحنونة الواضحة في عينيه. طوال الوقت كان يتملكها إحساس إثارة يدير الرأس، وكأن الأشياء تحدث لها ولا تستطيع فعل شيء إزاءها، حتى ولو أرادت فعل شيء... مرتين، أو أكثر، أظهر براند بعض نفاذ الصبر حين حاول الانفراد بها قليلاً، لكن فريدا، التي كانت تراقبهما كالصقر، وتعي تماماً الآن مثل هذه المناورات، كانت تضرب عقبيها في الأرض وترفض تركهما. الدليل على نفاذ صبره جاء في ليلة وصلوا فيها إلى المنزل بعد سهرة في نادٍ ليلي، وقال براند بتصميم:

- أرجو عذرنا.

وأمسك ذراع فيليسا، وسار بها إلى خلف المنزل داخل الحديقة. كادت فيليسا تتعثر بكعب حذائها العالي، وتكاد تجري لتلحق بخطواته.

خرجا من البوابة، وتوقعت أن يأخذها إلى حيث ذهبا ليلة الحفلة، لكن ما إن ابتعدا قليلاً حتى توقف تحت ظل شجرة وارفة الظلال وجذبها بخشونة إلى ذراعيه ثم قال بصوت أجش:

- كنت أنتظر أن أفعل هذا منذ أيام.

تجاوبت فيليسا مع عناقه دون مقاومة، وتركت لمشاعرها أن تأخذ زمام أمرها.. وتصاعدت الحرارة إلى رأسها، بعد أن ضاعا عن كل شيء.

مرت دقائق لا حساب بها، وكان كلاهما يتنفس بصعوبة حين ابتعدا، ورفع براند يداً مرتجفة إلى وجهها وقال بصوت متهدج:

- أظن أنني حصلت على أكثر مما كنت أتوقع.

ابتسمت له، ومررت وجهها على يده:

- لقد فاجأتني.

بآهة صغيرة قال:

- إذن، يجب أن أفعل هذا دائماً.. أريدك لنفسي.. ولو اضطررنا للخروج مع فريدا وجان كلود ليوم آخر فسأجن.

ضحكت مقطوعة الأنفاس وقالت:

- بدأت أصدقك.

- من الأفضل أن تصدقي.. عديني أن تخرجي معي في الغد.

- ماذا.. ماذا عن فريدا؟

رفع رأسه على مضض وقال:

- أعطيتها الوقت الكافي لتدرك أنني أهتم بك أنت.. وإذا لم تكن قد أدركت هذا.. إذن، أنا آسف لها. لقد حاولت أن أشعرها بهذا بكل لطف.

- تعلم إذن.. أنها تحبك؟

- أعرف أنها تظن هذا. مع أن هذا الحب هو من جانب واحد فقط.

حاولت أن أتجنبها حين فهمت الموقف.

- لكنك بقيت تأتي إلى الڤيلا؟

- أول مرة لم يكن لدي خيار آخر.. كنت أتصورها، ووالديها، يبحثون عني ويتركون الرسائل لي في كل أنحاء الريڤييرا.. بعد ذلك... توقف عن الكلام ليمسك خصلة من شعرها ويمررها بحنان على وجهه:

- بعد ذلك، كان هناك جاذب آخر يشدني إلى هنا. قولي فقط إنك ستأتين معي في الغد.. نحن الاثنان فقط.

- حسناً.

- حبيبتي.

انحنى ليقبلها لكنها قالت:

- الأفضل أن نعود.. جان كلود ينتظرك، ولا أستبعد أن تكون فريدا

www.rewity.com

قد بدأت في البحث عنا.

- المستبدة! ألا تدركين أنها المرة الأولى التي أختلي بك فيها منذ أيام؟

استدار ليمسك بها إلى جانبه عائداً إلى المنزل، لكن فكرة خطرت لها، فتوقفت تقول:

- أوه! لا يمكننا الخروج في الغد. لقد تذكرت، نحن ذاهبون إلى ذلك الاحتفال في نيس.

- اللعنة! نسيت هذا. أعتقد أننا يجب أن نذهب جميعاً إلى هناك.

- لكننا نستطيع الخروج معاً بعد الغد. صحيح؟

لأول مرة وضعت يديها على كتفيه، ورفعت رأسها تقبّل خده.. وأحست برجفة أحاسيس تجتاحه، ثم امتدت يداه إلى خصرها ليضمها مجدداً. وقال:

- الغد سيكون يوماً طويلاً كالجحيم.

كان جان كلود ينتظر قرب السيارة، يدخن سيكارة، دون أن يبدو عليه نفاذ الصبر لانتظاره الطويل، وقبّل براند رأسها مودعاً.

كانت خائفة من أن تكون ابنة عمها تنتظرها لتوبخها لكنها ارتاحت حين شاهدت المنزل كله معتماً، وتسللت إلى غرفتها، لتغطّ في نوم عميق، مع وعد بيوم رائع قادم.

أمام دهشة الجميع، عادت فريدا إلى حالتها العادية في الصباح، تتحدث وتضحك لأتفه الأشياء، لكن اهتمامها كله كان منصباً على جان كلود.. وأخذت تعبث معه وتغازله بصراحة، وتمسك بذراعه أو تشد نفسها إليه متى استطاعت.. وبدا أن جان كلود مسرور من ذلك ويتمتع به.. وأحست فيليسا بالارتياح لأن فريدا لم تكن عابسة، رغم ملاحظة المرارة خلف ضحكتها أو اليأس في حركاتها وهي تحاول جاهدة إثارة غيرة براند. لكنها لاحظت حين خلعت فريدا فستانها فوق المركب لتتشمّس أنها تبدو نحيلة مرة أخرى، وبدأت عظامها بالبروز، وهذا أمر

غريب، فهي دائماً كانت تأكل جيداً حين يتناولون الطعام هنا.

أملت فيليسا، أن تكون لها الآن الفرصة للاختلاء ببراند قليلاً.. لكن فريدا استمرت بملاحقتهما حيث ذهبا. ولكي يعوّض عن هذا، أصبح براند أكثر اهتماماً بفيليسا، ونادراً ما يتركها تبتعد عنه، ويتصرف معها بتملك، كان يمكن أن تعترض عليه منذ أسبوعين، لكنها تتمتع به الآن. عيناه كذلك، كانتا تحملان الرسائل إلى عينيها.. في الغد.. في الغد سيكونان معاً لوحدهما. مع أنها لم تكن تدري كيف سيتمكن براند من الخلاص من فريدا.

لكن، ما كان عليها أن تقلق، فقد تمكن من هذا بشكل رائع وهو يعيدهما إلى الفيلا تلك الليلة:

- أظن أن الوقت قد حان لنتفصل.. سآخذ فيليسا معي في الغد.

وكأنما باتفاق، وهذا ما كان على الأرجح، التفت جان كلود إلى فريدا قائلاً:

- بون (حسناً).. لماذا لا تأتين معي في رحلة على يختي يا عزيزتي؟

لكن فريدا تصلبت ونظرت إلى براند.

- كنت أظن أننا يجب أن نبقى أربعة رفاق؟

- الرفقة الرباعية لا تدوم إلى الأبد.

ولفّ ذراعه حول فيليسا لإثبات وجهة نظره.

- لكنها من المفترض أن تكون رفيقتي. ولهذا تقبض أجرها.

برز فك براند غضباً، لكنه قال بصبر:

- في هذه الحالة، يحق لها بيوم إجازة.. وأنت تعلمين أنك ستكونين على ما يرام مع جان كلود.

- أنا لا..

وأمسكت نفسها قبل أن ترد بفظاظة، ثم أكملت:

- لست أدري إذا كنت أستطيع الخروج في الغد.

أمسك جان كلود يدها يقبلها قائلاً:

www.rewity.com

ـ لكن.. سيسعدني جداً أن تسمحي لي بمرافقتك غداً «ما شيري» (يا عزيزتي).

ـ شكراً لك.. لكنني.. لست واثقة.. عمتم مساء.

ودعها الرجلان، ثم استدار براند إلى فيليسا:

ـ تصبحين على خير يا حبيبتي.

استدارت فيليسا لترى رد فعل فريدا، لكنها كانت قد دخلت.

لوحت للرجلين قبل أن تدخل، وكانت تنتظر بشوق وصول الغد، وفي نفس الوقت تتمتع بالترقب. حاولت إقناع نفسها بأن لا تتوقع الكثير من هذه الصداقة مع براند، فهي على أي حال لم تعرفه إلا من شهر مضى، ولم يعجبها كثيراً في البداية، لكنها كانت تراه يومياً تقريباً.. والآن... ماذا تشعر نحوه حقاً؟ كل ما تعرفه أنها لم تشعر هكذا من قبل. تعرف أنها تحب أن تكون معه، وأن يكون قربها، لكنها لا تعرف ما إذا كان هذا هو الحب أم لا. فهي تشعر بالسعادة، وسيكون دون ريب حبيباً رائعاً على المدى الطويل، وصديقاً أفضل.. وابتسمت لنفسها.. لا تظن هذه أبداً صداقة، ولا تهتم قطعاً بالصداقة.

نفس الإثارة والترقب كانا يلازمانها حين استيقظت في الصباح التالي، وأسرعت تستعد.. براند قال إن بإمكانها مساعدته في الإبحار، وسيأخذان المركب غرباً على طول الساحل إلى مجموعة من الجزر، جزر الذهب، كما سمّاها، على بعد أميال في البحر. ولم يكن مضطراً لأن يقول لها إنهما سيجدان هناك شاطئاً منعزلاً لا يمكن الوصول إليه سوى من البحر... شاطىء سيكون كله لهما، لوحدهما.

كانت بقية العائلة تتناول الفطور، وكانت العمة هيلين تطلب من فريدا أن تأكل جيداً لأنها تبدو نحيلة. وقاومت فريدا، لكن أمها جعلتها تأكل قطعتين من الخبز بالسكر والحليب.. وكانت فيليسا تتوقع أن تكلف ببعض الأعمال هذا الصباح، لكن، حين لم يطلب منها شيء، علمت أن فريدا لم تستطع أن تقول لوالديها إن فيليسا ستخرج مع براند

لوحدهما... ربما السبب كرامتها المجروحة؟ ما إن أنهت طعامها حتى اعتذرت فريدا وعادت إلى غرفتها.. أما العم هاري وزوجته فكانا ذاهبين في رحلة إلى إيطاليا مع آل سترونغ، وغادرا المنزل سريعاً، تاركين لفيليسا تنظيف مائدة الفطور، فاليوم يوم عطلة الخادمة.. ثم ركضت إلى غرفتها متشوقة للقاء براند، مع أن الوقت مبكر جداً، ولن يحضر ليأخذها قبل العاشرة.

كان باب غرفة فريدا مغلقاً، وهي تمر به، سمعت أصوات غريبة، فقرعت الباب بعد تردد، لكن دون رد، وتكررت الأصوات مجدداً.. دفعت فيليسا الباب ودخلت:

ـ فريدا؟

كانت الغرفة خالية، لكن باب الحمام الداخلي كان مفتوحاً، والأصوات تأتي منه:

ـ فريدا.. هل أنت بخير؟

نظرت فيليسا إلى داخل الحمام، فشاهدت ابنة عمها تميل فوق المرحاض، وإصبعها في حلقها، تدفع نفسها للقيء.

ـ ما الذي دهاك؟ هل أنت مريضة؟

تقدمت منها على استعداد لتساعدها، لكن فريدا استقامت ووجهها ملتهب:

ـ اذهبي من هنا! اخرجي!

ـ لكن.. إذا كنت...

وصمتت بعد أن أدركت ما يحدث:

ـ أنت تتعمدين هذا! لكن لماذا؟

ضحكت، وارتفع صوتها بشكل غير طبيعي:

ـ لماذا؟ لأنه يفضل النحيلات!

* * *

www.tewi.com

نظرت إليها فيليسا بارتياع:

- أوه.. يا إلهي! أتفعلين هذا لأجل براند؟

- أجل، طبعاً، أفعل هذا لأجله. وسأفعل أي شيء لأجله.. ألا تفهمين؟ أنا أحبه!

- لكن.. لكن.. إنه لا.. إنه لم...

قاطعتها بحدة:

- لا.. لأنك سرقته مني!

قفزت فريدا فجأة لتمسك بكتفيها، تهزها بعنف.. عيناها مجنونتان، وآثار القيء حول فمها:

- أيتها العاهرة! لقد سرقته مني! لكنه سيراك على حقيقتك، وسيعود إليّ. سترين..

حاولت فيليسا أن تبعدها، لكن فريدا كانت ضخمة، وبدا أن لها قوة المجانين، وهزت فيليسا إلى أن اصطكت أسنانها فصاحت مرتجفة:

- فريدا.. لا تفعلي هذا.. ستجعلين نفسك مريضة.

- كنا مخطوبين الآن لولا أنك رميت نفسك عليه. تظاهرت أنه لا يعجبك كي يهتم بك أيتها العاهرة القذرة!

- توقفي عن هذا! إنه غير صحيح!

دفعتها فريدا فجأة بقسوة، فتراجعت فيليسا طائرة إلى الخلف، ووقعت فوق أرض غرفة النوم، ممتنة لسجادها السميك. بسرعة وقفت بينما فريدا تتقدم نحوها صائحة:

- لكن لا تظني أنه سيتزوجك، لأنه لن يفعل! رجل مثله لا يتزوج ابنة حرام!

أحست فيليسا بالغثيان، وسألت بحيرة:

- ماذا تعنين؟

- أوه.. لا تظهري هذه البراءة اللعينة.. فأنت تعرفين جيداً كيف خدعت أمك أباك للزواج بها.. هذا إذا كان أبوك... لا عجب أنه

هجرها.. لا بد أن الجحيم أهون من العيش مع بغيّ. ولا تظني أبداً أن بإمكانك أن تخدعي براند بنفس الطريقة. لأنني سأقول له، وحين يرى أنك مثل أمك، لن يرغب في رؤيتك مجدداً!

أحست فيليسا بضعف ساقيها، فأمسكت بحافة السرير، وجلست عليه.. لم تشك فيما قالته فريدا.. فهي غير قادرة على اختلاق مثل هذا، خاصة وهي غاضبة.. صدمها هذا، وأحست كأن شخصاً لطمها على ضلوعها، ولم يعد بإمكانها سوى الجلوس والنظر ببلاهة إلى وجه ابنة عمها المجنون الملامح. لكن، ومع صعوبة التحمل، كان هذا من التاريخ، وهي متأكدة أن براند سينظر إليه على هذا الأساس.. ثم أن معظم الصفات التي أطلقتها فريدا عليها لم تكن صحيحة. فهي لا تعرف حتى إذا كانت تريد الزواج منه، هذا عدا عدم استعدادها لأن تخدعه ليفعل. هكذا، عادت إلى الوقوف لتقول بشراسة:

- لأجل السماء اهدأي يا فريدا.. أنت تدفعين نفسك إلى المرض. اسمعي.. أنا آسفة لأنك متكدرة. لكنني لم أنطلق خلف براند، وتعرفين هذا. لقد حدث هذا دون إرادتي.. لكن شيئاً ما لم يحدث بعد.

- ولن يحدث.. لأنك لن تخرجي معه مرة أخرى.

- اذهبي إلى الجحيم.. سأفعل ما أشاء.. قد يكون والدك من يدفع أجري فريدا.. لكن هذا لا يعطيك الحق في التدخل بحياتي الخاصة.

وكان هذا الرد الخاطىء. فقد نظرت فريدا إليها، ووجهها مختنق بالغضب.. ثم تطلعت بجنون في الغرفة، وركضت إلى طاولة الزينة تمسك بالمقص وتفتح نصفيه، ترفعهما وكأنهما السكين المزدوج. ثم استدارت بانتصار نحو فيليسا:

- أيتها العاهرة القذرة! لن تحصلي عليه، لن تحصلي عليه!

تبدّل لون وجهها إلى الرمادي، فتراجعت فيليسا تمد يديها نحوها.. لكن النظرة على وجه الفتاة الأخرى كانت قاتلة.

ضحكت فريدا، بصوت مرتفع مجنون:

www.rewity.com

- أوه.. أجل.. أنت خائفة مني الآن.. ألست كذلك؟ بشعرك الأحمر وعينيك الكبيرتين. لكنني لن أؤذيك، لأنني أعرف أن هذا لن يعيد إليّ براند.. أنت من ستتخلين عنه.. لأنك إذا لم تفعلي...

رفعت يدها الممسكة بالمقص في الهواء وارتفع صوتها بشكل حاد:

- سأقتل نفسي.. ستكونين أنت الملامة.. لأنه لي! إنه لي! إنه لي!

في كل مرة كانت تلفظ كلمة «لي» كانت تنزل نصل المقص، ثلاث مرات، على معصمها الأيسر، واندفع الدم القاني إلى الأعلى وهي تصرخ الكلمات.. ثم توقفت فجأة، ورمت المقص لتحدّق بمعصمها. كان الصمت أكثر حدة من صراخها. وجهها كان له شحوب الأموات، استدارت إلى فيليسا تقول بهدوء:

- أرأيت؟ أرأيت أنني أعني ما أقول؟

* * *

فراشة المحبة

٧ - لا شيء يدوم

أجبرت فيليسا ساقيها على التحرك وركضت إلى الحمام لتنتزع منشفة نظيفة وهي تصيح: يا إلهي! ثم لفّتها بقوة حول معصم فريدا.

وقفت ابنة عمها هامدة، جامدة الإحساس، وكأن كل الوحشية المجنونة جفت منها.. لكن حين قادتها فيليسا إلى كرسي وأجلستها عليه، مدت يدها السليمة بقوة لتمسك ذراعها وتقول بإصرار:

- هناك الكثير من طرق الانتحار، وسأفعلها جميعاً.. أقسم على هذا، إذا لم تعديني بالابتعاد عنه.. لا أستطيع العيش دونه.. وأنت لا تحبينه حتى.. أتحبينه؟ أتحبينه؟

كانت فيليسا جاثية أمامها تمسك بالمنشفة الملطخة بالدم حول معصمها، تنظر إليها بعينين فزعتين.. وكان عليها أن تقول صادقة:

- أنا.. أنا لست.. أدري.

- ستتخلين عنه.. عديني بأنك ستتخلين عنه!

كانت الدماء قد لطخت يديها، ونظرت فيليسا إلى الدم المنتشر في الغرفة بسبب تلويحها ليدها وقالت متعبة:

- أجل.. سأفعل.

ضغطت أصابعها في ذراع فيليسا.

- قوليها!

- أعدك بأن أتخلى عنه. سأعود في الغد إلى إنكلترا. فريدا، يجب أن تتركيني أطلب سيارة إسعاف.

- لا.. لا يجب أن تعودي إلى البلاد. فقد يذهب وراءك.. يجب أن تبقي هنا لإقناعه بأنك لست مهتمة به.

www.rewity.com

ـ أجل.. لا بأس.. كما تريدين.. يجب أن نستدعي سيارة إسعاف.

ـ لا.. أرسلي فقط إلى الطبيب الذي تعرفه «مامي».

الآن، وقد حصلت على ما تريد، عادت فريدا تسيطر على نفسها تماماً.. صحيح أنها في شحوب الأموات، إلا أن نظرة الانتصار كانت تشع من عينيها المظللتين بالسواد.

حضر الطبيب بسرعة حين أدرك الخوف في صوت فيليسا.. لكن، لحسن الحظ لم تكن الجروح عميقة، ولم تكن بحاجة إلى القطب.. وكذبت فريدا عليه قائلة إنها جرحت نفسها بالسكين الكهربائي، وهذا ما لم يصدقه، لكنه تقبله أمام الأجر المغري الذي أعطته له.

لم يكد يغادر المنزل حتى رنَّ جرس الباب، وكانت الساعة تزيد بضع دقائق عن العاشرة، فتمتمت فيليسا:

ـ هذا براند.. سأذهب.. وأقول له.

ـ لا.. سأذهب لأراه.. فأنا لا أثق بك.

نظرت إلى المرآة بسرعة، أضافت بعض اللون لخديها الشاحبين.. كانت فيليسا قد ساعدتها على تغيير ملابسها الملطخة بالدم، وما عدا الرباط الملفوف على يدها، لم يكن هناك دليل على أي شيء حدث.

تقدمت نحو باب الغرفة والتفتت:

ـ نظفي لي الغرفة، افعلي ما تقبضين أجراً عليه..

بطاعة عمياء، انحنت فيليسا تلتقط الثوب والمنشفة، ثم رمتهما وتقدمت إلى النافذة، وفتحتها لتترك الهواء يدخل. كانت الغرفة في واجهة المنزل، تقريباً فوق الباب الرئيسي، فسمعت ابنة عمها بوضوح وهي تستقبل براند، تقول بصوت مرتفع:

ـ مرحباً براندون.. كيف حالك؟ أليس اليوم جميلاً؟

ـ إنه جميل فعلاً.. هل فيليسا جاهزة؟

ضحكت فريدا وكأنها محرجة:

ـ أوه.. يا عزيزي! أخشى أن لا تكون قادرة على الخروج معك اليوم.

سأل بحدة:

ـ لماذا؟ هل هي مريضة؟

ـ أوه.. لا.. لا شيء من هذا القبيل. في الواقع أنا من هي في أسوأ حال.. جرحت نفسي وأنا أساعد في تحضير الفطور هذا الصباح.

ـ أنا آسف.. أرجو أن لا يكون الجرح خطيراً؟

ـ لا.. لكنني بالطبع لن أتمكن من السباحة إلى أن أصبح أفضل حالاً... وهذا سيشعرني بالملل.

ـ أجل.. كنت تقولين لي عن فيليسا.

تظاهرت بالإشفاق:

ـ حسناً.. كنت آمل أن لا أضطر. لقد خرجت مع شخص آخر.

ـ شخص آخر؟ من هو؟

ـ رجل تعرفه في لندن. اتصل بها يوم أمس، واتصلت به بعد أن عدنا ليلة أمس. يبدو أنه جاء إلى هنا في إجازة، وذهبت لتقابله هذا الصباح.

ـ ألم تترك رسالة لي؟

ـ لا.. أوه.. أنا آسفة لقول هذا عن ابنة عمي.. براندون.. لكن فيليسا لا يمكن الاعتماد عليها.. إنها دائماً تتخلى عن أصحابها.

ـ حقاً؟ لكنها لم تبدُ لي هكذا. هل أنت واثقة مما تقولين؟

ـ بكل تأكيد.. بل الواقع أن فيليسا ورثت هذا عن أمها.. إنها ليست جيدة مع الرجال أيضاً.

في غرفة النوم فوقهما، كانت فيليسا تشد قبضتيها.. لو أن فريدا تجرأت على قول شيء آخر عن أمها، ستنزل لترد عليها، وعدت أم لم تعد! لكنها سمعتها تكمل:

ـ أنا أعتذر لإرباكك براندون.. أعتقد أن مركبك جاهز للإبحار؟

وتركت الاقتراح مفتوحاً دون أن تتلفظه.. لكن براند تجاهله،

www.rewity.com

وسألها فجأة:

ـ هل قالت متى ستعود؟

ـ أوه.. لا.. ستعود متى تريد، كما أعتقد. هذا إذا عادت الليلة، فقد بدت مهتمة جداً برؤية ذلك الرجل.

رد متجهماً:

ـ فهمت.

ساد الصمت للحظات، ثم قالت فريدا بعفوية:

ـ براندون.. أنا محتارة بأمري اليوم.. ألا يمكن أن آتي معك؟

ـ سيتصل جان كلود بك فيما بعد ليعرف ما إذا كنت تريدين أن تخرجي معه.

ـ لكنني لا أريد الخروج معه.. أنا.. أنا أفضل أن أخرج معك.. أرجوك!

لم يتردد براند في رده:

ـ آسف فريدا.. إذا لم تستطع فيليسا الخروج معي اليوم، فلدي أعمال كثيرة أهتم بها. قولي لها سأتصل في الغد.. أتسمحين؟

ـ لا زلت تود رؤيتها، بعد أن أوقفتك عند حدك؟

ـ أنا واثق تماماً أن لها أسباباً وجيهة لهذا، وأود سماع الأسباب منها. تأكدي من وصول رسالتي لها.. وداعاً فريدا.

وقع أقدامه تصاعد وهو يتجه بسرعة إلى سيارته. ببطء ابتعدت فيليسا عن النافذة لتجلس على كرسي. كان صعباً وقوفها هناك صامتة في وقت تتوق فيه للصراخ: أنا هنا!.. لكن ذكرى لطخات الدم المندفع من معصم فريدا منعتها. وأحست بالمرارة والإنهاك، وكرهت ابنة عمها، دون أية شفقة عليها وعلى مشاعرها المرفوضة.

كانت ما تزال تجلس في الكرسي حين دخلت فريدا بخطوات أكثر بطئاً الآن مما كانت قبل ساعة عندما ركضت لتفتح الباب. ونظرت في الغرفة لتقول:

ـ لماذا لم...

ثم شاهدت النظرة على وجه فيليسا فماتت الكلمات على شفتيها..

قالت فيليسا بحقد تكسر الصمت:

ـ تهنئتي لك.. لم أكن أعرف أنك كاذبة من الطراز الأول.. أين تعلمت كل هذا؟ عجباً! في مدرسة الدير الغالية التي طالما كنت تتبجحين بها؟ قولي لي.. كيف فكرت بما ستقولين له بمثل هذه السرعة؟ أم أنك دبرت الأمر مسبقاً؟

احمرّ وجه فريدا:

ـ هذا غير صحيح! كان هذا العذر الوحيد.. ثم إن من المفروض أن تنظفي لي الغرفة.. فأنت لا تريدين أن يرى أبواي الدماء.. أليس كذلك؟ سأقول لهما إنك أنت المخطئة!

ـ أنا واثقة تماماً أنك ستفعلين هذا. واثقة أنك قادرة على الكذب بسهولة بالغة كي تحصلي على ما تريدين.. لكن هذا لا يهمني.. وبإمكانك تنظيف الغرفة بنفسك.

ـ لكنني لا أستطيع.. معصمي يؤلمني.

ـ لكنه لم يكن يؤلمك حين عرضت نفسك على طبق أمام براند.. صحيح؟

تقدمت فيليسا ببرود إلى الباب وأكملت:

ـ لكن هذا لم يفدك بشيء. لقد رفضك بكل صراحة.

اسودّ وجه فريدا، وبدت أنها على وشك إما أن تنفجر بالدموع أو تنفجر بالجنون ثانية.

ـ لا تتجرأي على قول هذا لي! تعرفين تماماً ما سيحدث لو أزعجتني.. سأقتل نفسي!

ـ لو كنت مكانك، لكنت حذرة جداً.. فريدا! فبالطريقة التي تتصرفين بها، بدأت لا أهتم أبقيت حية أو متِّ.

وخرجت من الغرفة.

www.rewity.com

بدت الڤيلا فجأة كالسجن، ولم تعد تطيق البقاء فيها. كانت الدراجة ما تزال مخبأة في مكانها، بعد أن أصلحتها وأعادتها إلى هناك منذ أسبوعين، مع أنها لم تستخدمها منذ ذلك الحين... جمعت أشياءها وخرجت بها إلى الطريق الرئيسي، وكان شديد الازدحام وقد أصبح الوقت منتصف تموز، في أسرع وقت استطاعته، استدارت عن الطريق الرئيسية، سلكت طريقاً آخر على غير هدى، دون أن تهتم إلى أين تتجه، تريد فقط الابتعاد قدر المستطاع عن فريدا. بعد ما يقارب الساعة، وصلت إلى مدخل حقل، فأوقفت الدراجة خلف السياج، ثم سارت إلى حافة مرج صغير لتجلس في ظل شجرة، تنظر عبر المرج المنحدر إلى منظر ريفي من الحقول الخضراء، والقرية الصغيرة في الوادي.

أحست أنها ضجرة ويائسة، وفكرت كيف كان يمكن لها أن تمضي يومها هذا مع براند. فكرت به، وتساءلت عما يفعله الآن وما إذا كان حقاً سيتصل بها في الغد بعد كل الأكاذيب التي سمعها من فريدا.. إذا كان قد قال إنه سيتصل، فسيفي بوعده. لكن، على الأرجح، سيقابله كمٌّ آخر من أكاذيب فريدا في محاولتها لتشويه سمعة فيليسا في عينيه وإلى الأبد.

لم تخرج فريدا مع جان كلود.. فحين عادت فيليسا إلى الڤيلا في وقت متأخر بعد الظهر، كانت فريدا مستلقية على الأريكة وأمها تفتعل الضجيج حولها بسبب «ذراعها المسكينة المجروحة» وحصلت فيليسا فوراً على توبيخ عنيف لتركها لها ولعدم اهتمامها بالغسيل.. يبدو أن فريدا قالت لأمها إنها أصابت يدها بجروح وهي تسخّن وعاء ماء لغسل الصحون لنفسها ما تأكله.

في الصباح التالي، لازمت فريدا الهاتف، لتتأكد من أنها هي الوحيدة التي سترد حين يتصل براند.. ولا بد أنها ستسمعه المزيد من الأكاذيب، لكن فيليسا لم تنتظر لتسمع، بل خرجت بالدراجة إلى مونت كارلو.. مبتعدة عن الميناء، أو أي مكان فيه براند.. وتجولت في الشوارع، تتفرج

على واجهات المحلات.. وأحست أنها ترغب في شراء شيء لمجرد أن تبهج نفسها. لكن الملابس هنا كانت غالية الثمن بالمقارنة مع إنكلترا بحيث جعلها إحساسها الوطني تتراجع.. لكن كان هناك محل بيع بضائع جلدية يعرض تنزيلات على حقيبة يد من جلد الأفعى لها سلسلة طويلة بلون ذهبي. ثمنها ستمائة فرنك فرنسي، ونظرت فيليسا إليها لوقت طويل، أخيراً، تركتها وتابعت السير. فهي لم تصرف يوماً مثل هذا المبلغ على حقيبة يدوية، وهناك الكثير من الاستخدامات العملية التي تحتاج إلى المال.. مع أنها حقيبة رائعة!

كان ذلك اليوم شديد الحرارة، والهواء ساكن.. وأمضت فيليسا ما تبقى منه على الشاطىء في «نيس» تتصبب عرقاً من الحر.. إنها بحاجة إلى بعض الحنان، إلى الحب والعناية الآن.. هذا ما جعلها تفكر بأمها، وتساءلت عما إذا كانت تعمدت خداع أبيها لتتزوجه؟ بكل تأكيد لم تكن أمها امرأة تحب المظاهر، فقد عملت جاهدة وفعلت ما في وسعها لأجل ابنتها، لكن هذا كان بدافع الواجب أكثر منه بدافع الحب.. هكذا، فيليسا بدورها، ليس لديها فكرة عن كيفية إظهار حبها ولا حتى كيف تتعرف عليه.

أدركت فيليسا بذهول، أنها تحسّ بالوحشة. وكان ذلك إحساساً لم تختبره من قبل، مع أنها معتادة على أن تكون لوحدها. لم تكن مقربة من أحد بما يكفي لأن تفتقده من قبل. ولا مرة افتقدت أمها في المرات القليلة التي ابتعدت فيها، لأي فترة من الوقت.. لكنها الآن تفتقد براند، وكان هذا إحساساً غير مرحب به كما كان غير مألوف.

قد يكون حسناً أن أنهت فريدا الأمور بينهما. فلن يفيدها أبداً أن تتورط أكثر من ذلك معه. رومانسية العطلات لا تدوم مطلقاً، والكل يعرف هذا.. المشاعر التي تتّقد لهيباً تحت حرارة الشمس، سرعان ما تموت في برودة الشتاء.. وهي وبراند، ليس بينهما شيء مشترك.. ما عدا تجاذب جسدي متهور وهذا لا يدوم.. لا شيء يدوم.. لا شيء يبقى

www.rewity.com

إلى الأبد.

كان جان كلود في الڤيلا حين عادت، نعرفت على سيارته الريتو، فدخلت المنزل من الباب الخلفي. لم تكن جائعة كثيراً، لكنها حضرت لنفسها عصير برتقال طازج أخذته معها إلى غرفتها وتركت مذكرة تقول إنها هناك، لتعرف أن العمة هيلين ستجلدها حين تحضر لصنع الحليب كما تفعل دائماً قبل أن تنام. كان الجو حاراً جداً.. والهواء خانق مليء بالملح وتمديدات التبريد في الڤيلا لا تصل إلى غرفة الخادمة، هكذا، دفعت فيليسا النافذة تفتحها وتحاول الاستقرار لتنام، ورمت عنها كل الأغطية، ولم تترك سوى غلالة رقيقة فوقها.. لكن حتى هذه كانت كثيرة.. كانت تتوق إلى شيء من الهواء.. لكن ما تحسُّ به لم يكن بسبب القيظ لوحده، فعقلها كان يعمل بلا انقطاع، وكان مليئاً بالأفكار بحيث أنها لم تستطع أن تسترخي وتترك النوم يغلبها. بعد حوالى الساعة من التقلب في السرير، خرجت منه وارتدت روب الحمام، المنشفة، وصندالاً رقيقاً، وتسللت إلى تحت، بهدوء كي لا توقظ عمها أو زوجته.

تقدمت إلى الأبواب الزجاجية لتلاحظ أن الليل قد انقلب تماماً وأصبحت السماء سوداء مليئة بالغيوم المنذرة بالمطر. فتحت الباب وخرجت، وأحست على الفور باللزوجة والتعرّق. لم يكن القمر منعكساً في مياه البركة الصافية، لكنها كانت تبدو مغرية.. ودون تردد، خلعت الروب، ونزلت السلم اللولبي إلى الماء، وكانت باردة جداً.. سبحت ببطء على طول البركة، وتمددت على ظهرها لتطوف وهي تحدق في السماء السوداء المكفهرة. سبحت لعشرين دقيقة أخرى، أو ما يقارب، ثم خرجت، تدحرج الماء عن بشرتها الحريرية وهي تصعد السلم. وقفت ترفع رأسها إلى الأعلى، وتلوح بذراعيها إلى فوق عند حافة البركة، ثم عصرت شعرها.

ـ مرحباً فيليسا.

الكلمات الخفيضة جاءت من الناحية الأخرى للبركة فاستدارت

بعنف، مع أنها عرفت صاحب الصوت فوراً. تحرك براند نحوها قليلاً كي تراه بوضوح أكثر... تراجعت برشاقة وانحنت تلتقط الروب، وترتديه قبل أن ترد عليه:

ـ هل من عادتك أن تفعل مثل هذه الأمور؟ ماذا تريد؟

ـ أن أراك.. لأكتشف بنفسي ما الذي يجري.

دوّى صوت رعد عنيف، ولمع البرق مجدداً. وكأنما السماء أصبحت ساحة معركة.. وأضاء البرق قسمات وجهه المتجهمة، فأرادت فجأة أن تركض إليه وتنتزع تلك النظرة عن وجهه، أن تحتضنه وتحس بذراعيه حولها، وأن تعيد كل شيء إلى سابق عهده. لكنها لا تستطيع.. لا تجرؤ على المخاطرة. يجب أن تكون قاسية، عليه وعلى نفسها. وكانت تدرك بحدة أن هذا سيؤلمه أكثر مما سيؤلمها. لكن هذه اللحظات كانت أمراً محتماً لا مجال لتجنبه، منذ اللحظة التي انهال فيها المقص على معصم فريدا، وارتدت صندالها لتقول ببرود وثبات قدر ما تمكنت:

ـ شاهدت فريدا.. أليس كذلك؟

ـ أجل.. شاهدتها. قالت لي إنك تخرجين مع رجل آخر. ولم أصدقها.

أخذ قلب فيليسا يضرب بألم وتمنت أن تنهي هذا الموقف وتدخل المنزل. لكن براند كان يقف في طريقها إلى الداخل.. فقالت وهي تحاول السير:

ـ ولماذا تكذب؟

ـ أظن أننا معاً نعرف لماذا قد تكذب.

انتظر ردها، ثم قال:

ـ هل أفهم من هذا أن ما قالته صحيح؟

ارتفع ذقنها متحدياً:

ـ وماذا لو كان صحيحاً؟ أنا أخرج مع من يعجبني!

ـ وتتخلين عمن لا يعجبك.. هذا واضح. لكن أخبريني.. لمجرد

www.rewity.com

المعرفة. لماذا قلت إنك ستخرجين معي في البداية إذا كنت تكرهينني إلى هذا الحد؟

هزت كتفيها بكل ما أوتيت من مواهب تمثيلية، لكي تنهي الأمر بسرعة:

ـ لأنك كنت بالنسبة لي تذكرة مرور لطعام مجاني.. بالطبع وأنا لا أرفض أبداً مثل هذا.

كانت تتقدم ببطء نحو المنزل، لكن براند استدار حول البركة وتقدم نحوها، مما جعلها تتراجع.. أمسك ذراعها ووجهه مليء بالغضب:

ـ إذن، كان كل هذا مجرد لعبة لديك؟ لم أكن أعني لك شيئاً. كنت مجرد وسيلة للتسلية إلى أن يصل حبيبك.. أم يجب أن أقول عشيقك؟ هل هو عشيقك؟

هزها بقوة، فقالت ساخطة:

ـ عليك الاهتمام بشؤونك الخاصة اللعينة!

اشتدت قبضته، فأصبحت أصابعه تحفر لحم ذراعها:

ـ ما هو الشيء الجيد فيه؟ هل هو رجل رائع إلى هذا الحد؟

أمسك معصمها الآخر، وارتفع صوته بغضب مع تصاعد العاصفة حولهما.

ـ يا إلهي! كم كنت مخطئاً بشأنك!.. أليس كذلك؟ ظننتك ناعمة تحت هذه الواجهة من القساوة. لكنك قاسية حقاً! وعاملتك بطريقة خاطئة.. فتيات مثلك يحبين من بسودهن، هكذا يقال، لكنني عاملتك كقطعة خزف صيني، رقيق، وكنت أخاف أن أكسرك وأخيفك..

وجذبها إليه بخشونة، يده في شعرها المبتل وهو يشد برأسها إليه بمزيج من الغضب والانتقام. لا يهمه ألمها في شيء.. بل كان يريد السيطرة عليها.

حاولت فيليسا الصراخ. لكن فمها أصبح مخفياً في صدره، ولم

يصدر عنها سوى أصوات مكبوتة من الغضب والسخط. أخذت تضرب صدره بقبضتيها، لكنه كان منيعاً ككيس تمرين، بطريقة ما، تمكنت من ركله على كاحله، فصاح ألماً، وشدَّ عليها أكثر فحاولت إدارة رأسها عنه، لكنه أوقع بها في الأسر، واستمتع بجنون عجزها.. لكن، ربما لم تكن عاجزة تماماً.. فمن مكان ما في عقلها تذكرت برنامجاً تلفزيونياً شاهدته حول الدفاع عن النفس، ودفعت صفحة يدها إلى خناقه.. فتراجع رأسه إلى الوراء، وخطا بعيداً عنها لتصيح به بشراسة:

ـ أيها الحيوان! أيها الخنزير المتعفن القذر!

وأطلقت يدها مرة أخرى إلى جانب وجهه، كانت تفعل هذا كرد فعل على غضبها هي. فقد أحست بمدٍ من المشاعر المجنونة يغمرها ويحثها على الاستسلام لكنها صاحت برعب كارهة ضعف مشاعرها. بذعر، خلصت نفسها من ذراعي براند الذي أفلتها، ووقفت تترنح. تقدمت إلى البحر وغطست في الماء، ثم سبحت على ظهرها تنظف الرمل من شعرها. وسمعت صوتاً صادراً عن الماء بعد انضمام براند إليها سابحاً. لكنها تعمدت أن تغوص لتتجنبه، وتسبح عائدة إلى الشاطىء.. ثم ركضت لترتدي صندالها والروب المبلل.

كان براندوهو يسير في الماء الضحلة على الشاطىء يصيح:

ـ هاي.. انتظريني!

ـ لا..! ابتعد عني!

أوقفه صراخها في مكانه، وأخذ ينظر إليها من غير أن يصدق، فأكملت:

ـ اتركني الآن وشأني!

ثم، كارهة نفسها لضعفها معه، وخائفة من تأثير هذا على ابنة عمها، أخرجت كل خوفها وارتباكها وصاحت بسخط حقيقي:

ـ أكرهك! أكرهك!

www.rewity.com

ثم استدارت تركض عائدة إلى المنزل، تاركة إياه ينظر إليها فاغر الفم.

* * *

٨ ـ لن أتزوجك

وصلت فيليسا إلى المنزل سالمة، داعية إلى الله أن لا تكون العاصفة قد أيقظت أحداً، فآخر شيء ترغب فيه، هو أن ينظر أحدهم من النافذة ليراها قادمة من جهة الشاطىء.. لكن أقاربها كانوا يغطون في نوم عميق، ووصلت غرفتها بسلام. بتنهيدة ارتياح، خلعت الروب ورمته في حوض المغسلة، ثم جففت نفسها واندست في الفراش، وكانت تحس بالبرد الآن بدلاً من الحرّ الذي سبق.. كانت خائفة من أن يفعل براند شيئاً جنونياً، كأن يرن جرس الباب إلى أن يرد أحد عليه، ثم يطالب برؤيتها، لكن بعد نصف ساعة من التوتر، لم يحدث خلالها شيء، تمكنت من الاسترخاء قليلاً، وحاولت التفكير بما ستفعل. كان الأمر المهم، بالطبع، هو أن تتأكد من أن فريدا لن تكتشف أمر مقابلتها لبراند.. وحاولت تركيز تفكيرها على أفضل طريقة لهذا. لكن أفكارها بقيت تنجرف إلى مغامرتهما المشتركة على الشاطىء... ما فائدة المقاومة في وقت ترغب فيه به؟ تأوهت فيليسا داخلياً، متذكرة كم كانت تريده، وكم كان رائعاً أن تكون بين ذراعيه.. لحظة قالت له إنها تكرهه.. كانت تعني ما تقول. لكنها الآن تحسّ بمشاعر متناقضة تماماً مع الكراهية.. ونفسها مليئة بحزن كبير. ما هذه الفوضى.. يا الله.. ما هذا التشوش؟

اتصل براند بالڤيلا في اليوم التالي بعد الفطور.. كانت فيليسا تجلس على الشرفة تعتني بأظافر زوجة عمها، لكنها كانت قادرة على الوصول إلى الهاتف لو أرادت، غير أن فريدا وصلت إليه أولاً. لم تكن المخابرة هي المدهشة، لكن رد فعل فريدا كان المثير للدهشة.. فقد خرجت إلى الشرفة تكاد تطير فرحاً، وقالت لهما بابتهاج:

ـ كان هذا براندون.. طلب مني تناول الغداء معه. يجب أن تصفقي

www.rewity.com

لي شعري وتطلي أظافري يا فيليسا.. ثم تأكدي من أن تكون الثياب التي سأرتديها مكوية ونظيفة.

صعدت إلى غرفتها تطير فرحاً، لتنتقي أية ثياب تريد، تاركة فيليسا بأفكار مشوشة.. هل هذه هي طريقة براند للانتقام منها؟ إنها لا تصدق هذا عنه.. إنه ليس من النوع الحقود المنتقم.. لكن بعد رفضها له ليلة أمس... من يدري ما هو رد الفعل الذي أثاره هذا في نفسه؟ يبدو أن فريدا ستقابله في مونت كارلو، فقد غادرت المنزل في التاكسي، وجهها مشرق بالاحمرار وعيناها تلمعان، مقتنعة أن مقامرتها اليائسة قد كسبت وأن براند أصبح لها..

كانت حول عيني فيليسا دوائر سوداء، كانت تحس بتعب شديد، فهي لم تنم ليلها.. حين أصبحت وحدها، حضّرت أريكة خشبية، مع فراش سميك، قرب البركة وغلبها النوم على الفور تقريباً، ولم تستيقظ قبل الخامسة حين ابتعدت عنها الشمس وأصبحت مغطاة بظل شجرة صنوبر.

بعد أن حضّرت لنفسها ما تأكله، صعدت فيليسا إلى غرفتها لتستحم.. معتقدة أن موعد فريدا مع براند سيستمر النهار كله.. ربما يأخذها إلى مركبه، يبحران إلى خليج مهجور. فهل سيغازلها هناك كما فعل معها؟ الفكرة لم تكن تُحتمل، فركضت إلى غرفتها تكاد لا ترى أن باب غرفة فريدا كان مفتوحاً على مصراعيه.. لكن شيئاً أبيض، مرمياً على الأرض، استرعى انتباهها، فدخلت، كانا القميص الأبيض الحريري والتنورة المتناسبة معه اللذين ارتدتهما فريدا حين خرجت إلى موعدها.. إذن، لقد عادت، ربما لتغير ثيابها، وإذا كان الأمر هكذا، فلا بد أن براند جاء بها، واحمرّ وجهها لتفكيرها أنه تطلع إليها وهي نائمة.

آلياً، انحنت تلتقط الثياب، ثم أجفلت، القطعتان معاً ممزقتان بعنف للحظات كانت الصدمة أقوى من تفكيرها، لكنها شاهدت مقص فريدا مرمياً على الأرض، فعرفت أن ابنة عمها لا بد وأن تكون قد مزّقت الثياب في نوبة غضب... لكن لماذا؟ ما الذي حدث؟

وأين هي فريدا الآن؟ جلست على حافة السرير تحاول التفكير بالأمر، خائفة من أن تكون فريدا متكدرة بما يكفي لتقوم بعمل يائس مجدداً. لكن واقع أنها مزقت ثيابها فقط ولم تمزق نفسها، بدا دليل تفاؤل. وتنهدت فيليسا، فعدا عن الاتصال ببراند لسؤاله عما حدث، ليس أمامها أية طريقة أخرى لمعرفة ما حصل، إلى أن تقول لها فريدا. وهي بكل تأكيد لا تنوي الاتصال به.. كل ما استطاعت فعله، هو الجلوس وهي تتلاعب بأصابعها، تأمل أن تكون فريدا بخير، تنتظر عودتها إلى المنزل.

بحلول الحادية عشرة من تلك الليلة، أحست فيليسا بقلق حقيقي. عند منتصف الليل، وصل العم وزوجته، مبكرين لأول مرة، لكن، بدوا كأنهما متشاجرين. سألا فيليسا عن فريدا، وأجابت فيليسا بصدق، أنها لم تشاهدها منذ ذهابها لمقابلة براند، فذهبا إلى النوم راضيين بأن ابنتهما بين يدي رجل مرغوب به.. لكن، ما إن صعدا إلى غرفتهما، حتى سارعت للاتصال بجان كلود في شقته، ولحسن الحظ كان هناك. فقالت بعجلة:

ـ أوه.. مرحباً.. هذه فيليسا. آسفة لإزعاجك لكن، هل فريدا معك؟ أوه.. لا.. هل شاهدت براند اليوم؟ إنه معك الآن؟ لا.. لا! لا أريد التحدث إليه.. لكن هل تسأله إذا كان يعرف أين هي فريدا؟

قال لها جان كلود إن براند وضع فريدا في سيارة تاكسي لتوصلها إلى المنزل حوالى الثانية والنصف بعد الظهر، ولم يرها منذ ذلك الوقت، وسأل:

ـ أهناك شيء؟ أحب أن أساعد إذا استطعت؟

ـ شكراً.. لكن لا شيء حقاً، ربما التقت أصدقاء لها أو هناك شيء من هذا.. عمت مساءً.

أعادت السماعة بسرعة خوفاً من أن يصرّ على المعرفة وأخذت الساعات تدور ببطء مليئة بالعذاب، ثم دقت الواحدة برنّة خفيفة.. ما يزال الوقت مبكراً بالطبع، حسب مقاييس مونت كارلو، لكن نظراً للظروف... التقطت الهاتف مرة أخرى تتصل بكل المطاعم والنوادي

www.rewity.com

الليلية التي دعاهم إليها براند، لكن لا جدوى.. هكذا لم يعد أمامها أي مجال للانتظار، فركضت إلى غرفتها، لترتدي الجينز وكنزة خفيفة، ثم تركت رسالة في حال عودة فريدا، قبل أن تخرج مسرعة إلى حيث الدراجة.

التفتيش عن فتاة واحدة في ليل مونت كارلو كان كالتفتيش عن إبرة صغيرة في كومة قش. لكن فيليسا كانت واسعة الحيلة... وطافت في كل الشوارع بطريقة منظمة، تترك الدراجة لتفتش في المقاهي ونوادي الرقص.. لكنها بعد ساعة عادت إلى المنزل، ولم تجد أثراً لابنة عمها.

في الرابعة صباحاً، أدركت أنها لن تجد فريدا لوحدها وأن عليها أن تحصل على المساعدة، فعادت إلى «كاب مارتين» عبر الطريق التي تمر في الشواطىء الخاصة وشاهدت بعض الأشخاص على الشاطىء، مختبئين في ظل أكوام الأرائك الخشبية.. فأبطأت سيرها، وتفرست عيناها جيداً في الظلام.. توقفت عند المنحنى، وخلعت خوذتها لتسمع صوت ضحك رجل، بطريقة فظة، ثم سمعت صوت ضحك أنثى.. دون تردد، ترجلت عن الدراجة وركضت نحو الصوت، وقدماها لا تصدران صوتاً فوق الرمال الناعمة.

كان هناك أربعة شبان، يقفون في حلقة صغيرة يمررون فتاة طويلة شقراء من يد إلى أخرى.. بكل معنى الكلمة من يد إلى يد.. بسرعة مجنونة، هبطت فيليسا عليهم وكأنها قادمة من الجحيم، ضربت الشاب الممسك بفريدا بخوذتها، ثم ارتدّت إلى الآخرين تضربهم وتصيح بأعلى صوتها. حتى أنهم لم يعوا ما الذي ضربهم، ولم يتوقفوا كي يعرفوا. بل استداروا على أعقابهم يركضون هاربين وفيليسا تلتقط حفنات من الحصى ترميهم بها، لتصيبهم بعدد لا يستهان به مما جعلهم يصيحون ألماً وخوفاً وهم يهربون.

لكنهم، كانوا أربعة، وهي فتاة واحدة، وعرفت أن عليها إبعاد ابنة عمها بسرعة قبل أن يستعيد الشبان وعيهم ويعودون إليهما.. أما فريدا

فكانت شبه فاقدة للوعي، وغاصت فوق الرمال تنظر ببلاهة حولها، رأسها يتطوح يمنة ويسرى، إلى الأمام والخلف، وكأن عنقها لا يحمله كما يجب. رتبّت لها ثيابها، ثم حملتها لتقف:

ـ تعالي فريدا.. سأعيدك إلى المنزل.

ـ لا.. أريد.. العودة.. إلى المنزل.

وشدت بها إلى الخلف، لكن فيليسا جرّتها عن الشاطىء نحو الطريق:

ـ أوه.. بلى.. ستعودين معي.. أنتِ متعبة وبحاجة للنوم.

وصلتا الدراجة.. وتراجعت فريدا:

ـ لن أركب هذه.. أريد الذهاب في سيارة.

ـ ليس لدينا سيارة.. ونحن مضطرتان لاستخدام الدراجة. كل شيء سيكون على ما يرام.. خذي، ضعي خوذتي على رأسك.

ـ لا.. لا أريد.

كانت فيليسا خائفة من عودة الشبان، ولم يكن هناك أحد يمكن أن يساعدهما، فصاحت بقسوة:

ـ فريدا.. ألا يمكن بحق الله أن تصمتي وتصعدي فوق الدراجة؟

نظرت إليها فريدا ببلاهة للحظات، ثم ركبت على مقعد الدراجة الخلفي.. وبتنهيدة ارتياح صعدت فيليسا أمامها وقالت آمرة:

ـ تمسكي بي جيداً.. فسرعان ما سنصل.

انطلقتا، وفيليسا تقود بيد واحدة قدر ما تستطيع، وتمسك بالأخرى ذراع فريدا الملتف على خصرها، خوفاً من وقوعها... وسرعان ما اتجهت بعيداً عن الشاطىء هرباً من الشبان، سلكت الطريق المتسلقة صعوداً.. لكن ما إن سارت لنصف ميل حتى صاحت فريدا في أذنها:

ـ فيليسا.. فيليسا، أريد أن أتقيأ!

لعنت فيليسا حظها، وتوقفت قرب بعض الأشجار تساعد ابنة عمها على التقيؤ خلف أجمة صغيرة.. وخوفاً من معاودة نوبة التقيؤ لها،

www.rewity.com

أجلستها على جذع شجرة.. لكن هذه كانت غلطة شنيعة، إذ سرعان ما غطت فريدا في النوم.

ـ أوه.. فريدا! هيا.. استيقظي..

لكن، حتى وهي تهزها بقسوة، لم تفتح عينيها. وعرفت فيليسا أن ما من طريقة أمامها لإيصال ابنة عمها إلى المنزل فوق الدراجة وهي على هذه الحال.

تركتها حيث هي، وذهبت تفتش عن كشك الهاتف وللمرة الثانية تلك الليلة، اتصلت بجان كلود، ولدهشتها رد عليها فوراً.

ـ جان كلود، هذه فيليسا مجدداً... لا.. لا أتصل من من المنزل.. أنا في مونت كارلو.. أجل.. أجل.. أجل. لا بأس.. لقد وجدتها.

سأل بقلق:

ـ كيف حالها؟ هل هي بخير؟

ـ حسناً.. أجل، لكن يبدو أنها تعرضت لإرهاق شديد، وأغمي عليها بين يدي. ولا أستطيع إيصالها إلى المنزل.. جان كلود.. أيمكنك...

ـ بكل تأكيد.. أخبريني أين أنت.

ـ نحن على طريق «ريكوبرون» قرب نادي مونت كارلو الريفي.

ـ أعرفه، سأكون هناك في غضون عشر دقائق.

كان جان كلود سريعاً في قدومه، فقد وصل بعد خمس دقائق، وتقطيبة قلق على وجهه، حمل فريدا ووضعها في سيارته، ثم قال:

ـ لن نستطيع أخذها إلى المنزل وهي على هذا الحال، سنأخذها إلى شقتي ونحاول إيقاظها.

تمكنا من إيصال فريدا إلى شقته في الطابق الثالث، ووضعاها في السرير.. وحاول جان كلود إيقاظها بلطف، بينما كانت فيليسا تصنع لها القهوة المرّة. حين عادت من المطبخ، كانت فريدا بين ذراعي جان كلود، تبكي عاجزة على كتفه.. لكن ما جعل فيليسا مذهولة حقاً، كان سماعها

جان كلود يتمتم بكلمات التدليل لها بالفرنسية فناداها بحبيبته المسكينة، وطفلته الصغيرة، وكان يربت على كتفيها، ويقبل شعرها. فوضعت القهوة من يدها، وتوجهت إلى الحمام، مذهولة لما سمعت ورأت. إذن، جان كلود يهتم فعلاً بفريدا..! لطالما أظهر تفضيلاً لرفقتها، لكنه لم يظهر مشاعره من قبل. ربما بسبب أن فريدا كانت توضح دائماً أنها تفضل براند.

عادت إلى غرفة النوم حيث كانت فريدا ترتشف قهوتها، نصف نائمة. وقال جان كلود:

ـ أظن من الأفضل أن نتركها تنام لساعتين.. ماذا عن أبويها؟

ـ إنهما نائمان. لا يعرفان بغيابها.

هزّ رأسه وأعاد فريدا إلى الفراش، ونزع حذاءها بلطف، وجذب لغطاء فوقها. رقّته مزقت قلب فيليسا، ولم تعد قادرة على أن تبتلع الغصّة التي تصاعدت إلى حلقها... وحاول جان كلود الابتعاد، لكن فريدا أمسكت بيده وقالت:

ـ لا تتركني.. أرجوك جان كلود.. لا تتركني!

نظر إلى فيليسا، فهزت رأسها:

ـ هيا.. افعل.. سأنام على الكرسي.

في السابعة والنصف صباحاً، تسللا بفريدا إلى الفيلا حيث لازمت الفراش طوال النهار، ولم تغادره سوى وقت العشاء.. لكن فيليسا لم تكن محظوظة كثيراً وكانت مضطرة لتحمّل زوجة عمها هيلين التي كانت متطلبة أكثر من عادتها.

جاء جان كلود لزيارتهم ذلك المساء.. واستقبلته فريدا بخجل في البداية، لكنه سرعان ما أراحها، وترك لمشاعره نحوها أن تظهر، حتى أنها احمرّت وأخذت تبتسم. ما إذا كانت تتذكر ما حدث معها قبل وصول فيليسا أم لا، فهذا أمر لم تعرفه، وما قالت فريدا عنه شيئاً. ومن الأفضل أن تنساه.

www.rewity.com

خلال الأيام التالية المقبلة، كان جان كلود زائراً مستديماً. وكان أحياناً يأخذ فريدا معه حين تريد، لكنها كانت تبدو مؤدبة بشكل غريب وقانعة بحياة هادئة. تسبح في البركة أو تنزل إلى الشاطىء القريب معه ليتشمّسا. وبحذر شديد، لم يكن أحد منهم يذكر اسم براند، مع أن فيليسا كانت مستعدة للتخلي عن أي شيء في سبيل أن تعرف ماذا حدث لعلاقته بفريدا. كان دائماً يلازم تفكيرها وأحلامها، وكان من الصعب أن لا يظهر هذا عليها. كل يوم، حين تخرج، كانت تسلك الطريق المطلة على الميناء، لكن مركبه لم يكن هناك، حسناً، غيابه ليس بالأمر العجيب، بعد الطريقة التي صدّته فيها.. الرفض هو أمر لا يمكن أن يتحمله معظم الرجال.. ولا حتى النساء، لو فكرت بالأمر. وتذكرت يأس فريدا.

في إحدى الأمسيات، التقت بجان كلود جالساً على الشرفة وحده، ينتظر فريدا ليخرجا. فقالت:

ـ مرحباً.. أذاهبان إلى مكان يثير الاهتمام؟

ـ سآخذها لتناول العشاء مع عمة لي قريباً من هنا.

حسناً.. هذا أمر يبدو واعداً. جلست قبالته وبقيت صامتة لبرهة، تمنع نفسها من سؤاله عن براند.. لكنها يجب أن تعرف.. وبقدر ما استطاعت من عفوية، سألت:

ـ لاحظت أن الشيميرا قد غادرت الميناء.

استدار ينظر إليها ويرد: أجل.

ـ هل.. رحل؟

ـ من؟

ـ براند.. بالطبع.

ـ لماذا السؤال؟ هل أنت مهتمة بأمره؟

عبست:

ـ لا تتلاعب معي يا جان كلود. إذا كنت لا تريد إخباري أو قيل لك أن لا تفعل، فقل هذا. لكن لا تتلاعب بي.

نظر إلى وجهها بثبات، ثم تراجع في كرسيه:

ـ براند ما يزال هنا، في فرنسا، لكنه ابتعد إلى مكان آخر على الساحل... ولست أدري ما إذا كان سيعود إلى هنا هذا الصيف أم لا.

ـ هكذا إذن!

ـ إذا رغبت، يمكن أن أتصل به لأجلك.

وقفت:

ـ لا.. أرجوك لا تفعل.. أنا لست مهتمة حقاً.. عذراً أرجوك!

ودخلت المنزل.

تأخرت فريدا برفقة جان كلود تلك الليلة، ولم يحضر جان كلود حتى وقت الغداء في اليوم التالي.. في الصباح، دهشت فيليسا حين انضمت إليها فريدا إلى حيث تجلس قرب البركة، وسألتها:

ـ مشغولة؟

ـ ليس كثيراً. لماذا، ماذا تريدين أن أفعل لك؟

ـ ماذا..؟ أوه.. لا شيء.. كنت أتساءل فقط.. قال جان كلود إن براند غادر مونت كارلو!

ـ هذا ما فهمته.. متى سيأتي جان كلود؟

لكن فريدا رفضت تغيير الموضوع.

ـ هل كنت.. معجبة ببراند؟

هزت كتفيها مبقية عينيها مصوبتين إلى البركة:

ـ لا بأس به.

ـ لماذا غادر؟

رفعت رأسها إليها وقالت بحدة:

ـ أخبريني أنت.. أنت من شاهدته آخر مرة.

ـ لكنني لم أفعل، لقد...

صمتت فريدا وظهر العبوس على وجهها.. وانتظرت فيليسا منها أن تتابع، لكن لأنها بقيت صامتة سألتها على مضض:

www.rewity.com

ـ ما الذي حدث بالضبط حين التقيت به على الغداء؟

لاحت نظرة عناد بالغ على وجه فريدا، وأدركت فيليسا حتى قبل أن تكلم ابنة عمها أنها لن تحصل منها على شيء.

ـ ليس في الأمر ما يعنيك.. كنت أتساءل فقط ما الذي دفعه إلى الابتعاد، هذا كل شيء.

وقفت مبتعدة، مما جعل فيليسا محتارة في أي الرجلين يهم ابنة عمها، وما إذا كانت ما تزال تأمل بعودة براند إليها.

حين وصل جان كلود، بدا أن الاثنين لديهما الكثير من الكلام، وتركتهما فيليسا لوحدهما. ذهبت إلى مونت كارلو، ثم اتجهت صوب محل بيع الحقائب الجلدية حيث شاهدت حقيبة جلد الأفعى.. ولكي تبهج نفسها قليلاً قررت باندفاع أن تشتريها. لكن، ولإحباطها الشديد، كان المحل مقفلاً.. هناك مذكرة تقول إن صاحبه ذهب لحضور جنازة، وإنه سيعيد فتح أبوابه في الغد.. لكن الغد كان آخر يوم للتصفية. وصمّمت فيليسا على المجيء في الغد لتأخذها.

ذلك المساء، فاجأها جان كلود بطلبه منها مرافقتهما في رحلة بحرية فوق يخته في اليوم التالي. لكنها قالت إنها لا تريد الذهاب.

ـ بكل تأكيد لا تريدانني معكما؟

ـ لكننا نصرّ. فريدا تحس بالتوتر في المراكب الشراعية.. وسيكون من الأفضل أن تأتي معنا.

إذن، فالدعوة موجهة لها لتكون ممرضة فريدا، ولتساعده في الإبحار.. مع ذلك، سيكون هذا أفضل من البقاء في المنزل وحدها.. فهزت رأسها:

ـ حسن جداً.. سآتي معكما. لكن، يجب أن أذهب إلى مونت كارلو لشراء شيء ما.

ـ حسناً.. سأجيء بالمركب إلى الميناء، وأقابلكما عند العاشرة والنصف. وهذا ما يعطيك الوقت الكافي، فيليسا؟

أكدت له فيليسا أن هذا يكفيها.. مع أنها تساءلت عن الذي ستورط نفسها به. لكنها وصلت الميناء في الصباح التالي في الوقت المناسب، ترتدي الشورت والقميص فوق البيكيني، وتحمل كيس الحقيبة المشتراة، والموضبة بحذر داخل علبة.. شاهدت فريدا تلوّح لها، وتقدمت إلى الرصيف لتلقي نظرة على مركب جان كلود. كان أكبر مما توقعت: طوله يقارب العشرين قدماً، خطوطه أنيقة وجميلة.. كان يبدو جديداً نسبياً، وكأن جان كلود يهتم جداً به.

قالت فريدا لها بحماس:

ـ تعالي وانظري إلى الكابينة.. إنها حقاً نظيفة.

دخلت فيليسا واندهشت فعلاً، وهنأت جان كلود:

ـ إنه مركب جميل.. لماذا لم تأخذنا على متنه من قبل...

ثم صمتت لا تعرف كيف تنهي كلامها، فقال مبتسماً:

ـ لقد أعرته لصديق لي ليقضي فيه شهر عسله.. إنه مركب رائع لشهر عسل.. لا؟ على شرط أن لا يهتز كثيراً.

بينما كانت الفتاتين تضحكان لكلامه اهتز المركب فعلاً بصعود شخص آخر إليه.

ـ أيوجد أحد هنا؟

جمدت فيليسا في مكانها لسماع صوت براند.. ثم نظرت بسرعة إلى فريدا وجان كلود، فوجدتهما ينظران إليها، دون أية دهشة.. إذن، لقد خططا لهذا.. فقالت متصلبة:

ـ أهناك مكان آمن أضع فيه ما اشتريته؟

ـ طبعاً.. في هذا الدرج.

فتح لها الدرج وخرج يستقبل براند.. ونظرت فيليسا إلى فريدا لتجدها شاحبة... ربما كان لها عذرها في أن لا ترغب في مشاهدة براند ثانية، لكنها استدارت وصعدت إلى السطح قبل فيليسا.

ـ مرحباً براندون.. كيف حالك؟

www.rewity.com

ـ بخير.. تبدين بصحة جيدة فريدا.

لأول مرة لم تعترض على اختصار اسمها، بل هزت له رأسها وأكملت طريقها لتساعد جان كلود.

ـ مرحباً فيليسا.

أرادت أن تقترب منه، أن تلمسه، لكن شجاعتها خانتها فردت ببرود:

ـ مرحباً براندون.

وتوجهت إلى مقدمة المركب لتجد لنفسها مكاناً يبعدها عن العينين السوداوين.

أبحروا عبر الساحل إلى إيطاليا، حيث رسوا عند خليج مهجور لتناول الغداء، بعد أن نقلوا الطعام في قارب صغير إلى الشاطىء.. حاولت فيليسا أن لا تكون لوحدها مع براند، والتصقت بفريدا.. لكن الآخرين كانا مصممان على تركهما لوحدهما. فبعد أن تناولوا الطعام اقترح جان كلود القيام بنزهة على الشاطىء، فوقفت فريدا لتذهب معه، ووقفت فيليسا كذلك، لكن براند أمسك بمعصمها:

ـ لا.. ابقي هنا.. لقد حان الوقت لنتكلم.

خلصت معصمها من يده، وهزت كتفيها:

ـ ماذا هناك لتتكلم به؟

ركعت فوق الرمال، وبدأت تجمع بقايا الطعام. فقال متجهماً:

ـ عن آخر مرة كنا فيها معاً.. كبداية...

ـ أوه.. ذلك الأمر!

ـ أجل.. ذلك الأمر.. أرجوك، اتركي هذه الأشياء من يدك وانظري إليّ!

ـ حسناً.. إذا كان هذا ما تريد.

جلست على الرمل تنظر إليه حيث يقف متطاولاً نحو الشمس.. وتخلى قلبها عن بضع ضربات، لكنها دفعت نفسها لتكمل بهدوء:

ـ أنا حقاً لا أرى أن هناك شيئاً يمكننا مناقشته.

التوى فمه غضباً:

ـ كنت قلقاً عليك.

دسّت يدها في الرمل، لمنعه من رؤية ارتجافها:

ـ لماذا؟

ـ ظننت أن ما بيننا أكثر بكثير من إعجاب متبادل.. لكن من الواضح أنني كنت مخطئاً.

وقفت مجدداً:

ـ هذا صحيح.. فالأمر عنى لي القليل القليل، مثلك تماماً.

لم يتحدثا معاً ثانية، مما دفع فريدا وجان كلود لأن ينظرا إليهما بخشونة، بعد أن أدركا حقيقة الموقف. واقترح جان كلود إنهاء الرحلة والعودة إلى «ميتون» حيث يضع مركبه عادة، ثم استئجار تاكسي للذهاب إلى مونت كارلو، ووافق الجميع.. كان هناك ما يكفي من ريح لينفخ الأشرعة، مما جعل عودتهم سريعة.. في العادة كانت فيليسا تحب طريقة تهادي المركب مع الريح.. لكنها كانت غاضبة لدرجة أنها تريد أن ينتهي كل هذا. وقررت، أنها في الغد، مهما قال العم هاري، ستعود إلى وطنها.. لم تعد تستطيع تحمل المزيد من هذا الجو المتوتر، جلست في المقدمة، بينما التزم براند غرفة القيادة إلى أن اقتربوا من ميناء «ميتون»، وجاء لينزل الأشرعة كي يستخدم المحرك.

كان يوماً جميلاً هادئاً، والعديد من المراكب الصغيرة كانت في الماء، والشواطىء مكتظة بالمتنزهين. إنه يوم صيفي مثالي... حين تقدم براند إلى المقدمة، حركت فيليسا ساقيها بعيداً، ونظرت إليه، غير قادرة على إبعاد عينيها عنه. وتلاقت نظراتهما، وفتح فمه ليقول شيئاً، لكن ما كان سيقوله ضاع تحت صوت انفجار مدوٍّ هائل، واندلاع لهب عبر المركب، في اللحظة التي أدار فيها جان كلود المحرك.

ترنّح براند بشدة تحت تأثير الارتجاج وكاد يقع في البحر، لكنه استطاع التمسك بالشراع، وارتمت فيليسا إلى جانبها لكنها سرعان ما

www.rewity.com

وقفت متعثرة.. وصاحت:

ـ فريدا!

وحاولت الخوض في النار الخارجة من نوافذ الكابينة السفلى في مؤخرة المركب، لكن براند جاء خلفها وشدها إلى الوراء.

ـ فريدا بخير.. جان كلود سيعتني بها.. تعالي، اقفزي!

لكنها حاولت مقاومته والوصول إلى الكابينة:

ـ حقيبتي الجديدة هناك!

ـ انسيها.. لأجل الله.. اقفزي!

كانت ألسنة الدخان الأسود تتوجه نحوهما، وبدأت النار تلتهم السطح.

ـ هل أنت مجنون؟ تلك الحقيبة كلفتني ستمائة فرنك.

بشتيمة غاضبة حملها بين ذراعيه ورماها إلى البحر، ثم قفز خلفها، بينما تتابع انفجاران آخران داخل اليخت، وصاح:

ـ اسبحي بعيداً!

تقدم يضع يده على كتفها ليتأكد من إطاعتها له. وسبحا معاً أكثر من عشرين يارداً، ثم التفتت فيليسا تبحث في الماء عن ابنة عمها، فوجدتها مع جان كلود في الماء، ولوّحت لهما، لكن جان كلود كان يتعلق بالقارب يحاول فكه وإبعاده قبل أن يلتقط النار. فقال براند:

ـ سأذهب لأساعده.. هل ستكونين على ما يرام؟

ـ أجل.. كن.. كن حذراً.

نظر إليها نظرة سريعة، ثم انطلق يسبح بسرعة.

من خلفها سمعت زعيق صفارة إنذار، وتقدم نحوها مركب إنقاذ برتقالي وأزرق.. رصيف الميناء، والجدار فوقه، وكل الطريق المؤدية إلى المنارة، كانت مكتظة بالناس المتفرجين. استدارت فيليسا ثانية، لترى أن اليخت كله الآن قد أصبح طعاماً للنيران، وكتلة ضخمة من الدخان ترتفع إلى السماء.

لم تكن فريدا، ولا جان كلود مصابين بأي أذى، ما عدا احتراق حاجبي جان كلود قليلاً، وبدت لها فريدا بكامل صحتها فوق مركب الإنقاذ.. لكن ما إن وصلوا إلى الشاطىء حتى أصيبت فريدا بصدمة متأخرة دفعتها إلى حد الهستيريا. كان براند مشغولاً مع المسؤولين يعطي الأسماء والعناوين.. وراقبت فيليسا كل ما يجري حولها عاجزة، ثم استدارت متسللة من بين الجمع، لتتسلق السلم الموصل من رصيف الميناء إلى الجدار، حيث جلست على حافته تراقب النار تتلاشى بالتدريج، بعد أن أتت على كل شيء يمكن أن يحترق.. ثم انطلق مركب الإنقاذ مجدداً، ساحباً ما تبقى من الهيكل، حتى ملأت رائحة احتراق «الفيبرغلاس» أنوف المحتشدين.

تقدمت سيارة تاكسي، ووضع جان كلود فريدا فيها. وتحدث إلى براند بسرعة، ثم صعد إلى التاكسي معها، وابتعدا. وبدأ براند ينظر في الجموع يبحث عن فيليسا.. لكن مسؤول الميناء استدعاه مجدداً، وبدأ المحتشدون يتفرقون، بعد أن أدركوا أنهم شاهدوا كل ما يمكنهم أن يشاهدوه، وأن هيكل المركب قد أصبح في الميناء بالكاد يطوف فوق الماء... ببطء وقفت فيليسا تتقدم نحوه لتنظر إليه عن كثب.. وتصاعد الرماد الأسود على ساقيها، الرائحة كانت تجعلها تحسّ بالغثيان.. نظرت إلى حيث كانت منطقة الكابينات، ثم التقطت قطعة خشب لتبعثر الرماد والبقايا.. بعد دقيقتين، لمحت شيئاً طويلاً كان مرة سلسلة ذهبية اللون، كل ما تبقى من حقيبتها الثمينة الجميلة.. بحذر التقطت السلسلة بطرف العصا، وأمسكتها بيدها.

جاءها صوت براند ساخراً من خلفها:

ـ تذكار؟

رفعت رأسها إليه متحدية:

ـ شيء من هذا القبيل!

ـ يمكننا الذهاب الآن.. اهتممت بكل الترتيبات المتعلقة بالمركب.

www.newbty.com

ـ وماذا سيحل به؟

ـ سترفعه رافعة الماء وتضعه على الرصيف إلى أن يحضر رجال التأمين ليلقوا نظرة عليه.. ثم أتوقع أن يفكك.

استدار لينزل إلى الرصيف، فنظرت فيليسا لآخر مرة إلى المركب وسألت:

ـ لماذا اشتعلت فيه النار؟

ـ نعتقد أنه كان هناك تسرّب للوقود، وحين أدار جان كلود المحرك، أشعلت شرارة الوقود وانفجر.. ألن تأتي؟

ـ ماذا؟ أوه.. أجل.

ـ سنأخذ سيارة تاكسي، وأوصلك إلى المنزل، ثم...

التفت إليها ليجدها تغطي وجهها، فأمسك بيدها ينزلها بعيداً عن وجهها، وصاح بلهجة من لا يصدق:

ـ تبكين!

ـ وإن يكن؟ دعني وشأني.

وأخذت تمسح الدموع عن عينيها بيدها الأخرى فسألها ساخراً:

ـ ولماذا البكاء؟ أمن أجل احتراق حقيبتك؟ ما الذي كان فيها لتكون ثمينة هكذا.. دفتر أرقام الهاتف؟ أم أنه المال الذي أردت المخاطرة بحياتك لتنقذيه؟

ـ اخرس! اللعنة عليك..! اسكت.. يا إلهي كم كان مركباً جميلاً!

فجأة أخذت دموعها تنسكب بغزارة على وجهها.. فلفظ براند اسمها بحذر وعجب:

ـ فيليسا..

رفع ذراعيه كأنه يريد أن يحضنها لكنه توقف خوفاً من مقاومتها له، غير أنها نظرت إليه متوسلة:

ـ عانقني أرجوك... عانقني.

هكذا لفّ ذراعيه حولها وشدها إليه، ويده تمسح شعرها، مما أثار

فضول المارة.. بعد دقائق تمتمت بشيء فوق كتفه، فخفف قبضته من حولها لينظر إلى وجهها، فمسحت أنفها وحاولت مسح عينيها بيديها.

ـ يا إلهي! وأمام كل هؤلاء الناس؟ وأنا من أقسمت أن لا أفعل هذا طوال حياتي!

ـ لماذا كنت بائسة هكذا؟ أخبريني.

ترددت لحظات، لكن حدسها أنبأها بأنها لن تستطيع التراجع الآن.. فاستقامت لتسأل:

ـ لماذا أخذت فريدا للغداء بعدما.. كنا... معاً في الليلة التي سبقت؟

نظر إليها بارتياح مرح، لكنه ممتزج بالانزعاج:

ـ إذن.. هذا هو الامر! ألم تقل لك فريدا؟ أعتقد أنني أتفهم هذا.. لكن لماذا يجب أن تظني أنني أرغب بفريدا؟ أخرجتها للغداء لأقول لها بصراحة إنني لست مهتماً بها ولم أكن أبداً.

ابيضّ وجه فيليسا وصاحت:

ـ أوه.. ما كان يجب أن تفعل هذا!

ـ لماذا لا أفعل؟ إنها الحقيقة.. وظننت أن الوقت قد حان لتواجهها.

ـ لكن كان يمكن أن تحاول... قتل نفسها مجدداً.

صاح بها متجهماً:

ـ الأفضل أن تقولي لي ما حدث.

هكذا، وهما واقفان على رصيف الميناء، والناس يمرون بهما وحجارة أبنية البلدة القديمة ترتفع فوقهما، أخبرته فيليسا لماذا تخلت عن موعدهما، ولماذا كانت تتجنبه... فتأوه:

ـ لا شك أنها أفسدت الأمور كثيراً بيننا، لم يكن لدي فكرة عن أن مشاعرها عميقة هكذا. مع أنني لم أكن أهتم بها كثيراً، كل أفكاري كانت في مكان آخر.. لكن لماذا لم تخبريني؟ لكنا فكرنا بمخرج ما.

تطلعت إلى قدميها وقالت:

www.rewity.com

ـ سنجد مكاناً مريحاً دون شك، لكن لا تظني أن بإمكانك تجنب المسألة بسهولة. ما يزال أمامك الكثير من الشرح أيتها السيدة الشابة.

وجدا مقهى رصيف، وتقدما إلى تحت مظلة من الزهور، وأصرّ براند أن يجلسا على مقعد مزدوج، تحيط بهما نباتات مرتفعة في أوعية خشبية، أعطتهما نوعاً من الخلوة عن الآخرين.

أخرج ورقة نقود مبللة أعطاها للساقي، وطلب المرطبات ثم التفت إليها:

ـ والآن.. أخبريني.

تنهدت:

ـ لم أقل لك شيئاً عنها، لأنني عرفت أنها تحبك كثيراً ولها الحق في أن تحاول اجتذابك، دون أن أتدخل.

ـ ولم تعتقدي أبداً أن لك مثل هذا الحق؟

حركت السكر في قهوتها وهزت رأسها نفياً، فسأل:

ـ لِمَ لا؟

ـ لأنني.. لأنني لم أكن واثقة.. أنني.. كيف أنني.. أوه.. يا إلهي!.. لم أكن واثقة من شعوري نحوك.. هذا كل شيء.

ـ هكذا إذن.

وضع يده تحت شعرها عند مؤخرة رأسها، فرفعت رأسها تنظر إليه.. وأكمل:

ـ لكن يبدو أنك اتخذت قرارك فيما بعد.. حين كنا على الشاطىء ظننتك تعبرين عن حبك لي.. لكنك فجأة انقلبت، وقلت لي إنك تكرهينني، فأيهما كان الصحيح فيليسا..؟ الحب أم الكراهية؟

أسندت رأسها على مفرش المقعد، تنظر إلى وجهه:

ـ كلاهما... أدركت ما قد تفعل فريدا لو جئت.. تطالب بي.. وكرهتك لوضعك لي في مثل هذا الموقف.

ـ حمقاء.. أما زلت تكرهينني؟

وضع يده على خصرها وشدّها إليه، فردت بشيء يعلو قليلاً عن الهمس:

ـ لا.

ـ جيد.. كنت أخشى أن نقف فريدا بيننا، لذلك قلت لها إنني لا أهتم بها. وكان يمكن أن أقول لها إنني غارق في حبك حتى رأسي، لكنني رغبت في قول هذا لك بنفسي.. لو أنك أعطيتني الفرصة.

ـ وكيف يمكن أن أعطيك الفرصة وقد رحلت؟ مركبك لم يكن هناك حين فتشت عنه في الميناء.

صاح منتصراً:

ـ إذن كنت تهتمين قليلاً.. فكرت أن أبتعد لأترك الفرصة لجان كلود مع فريدا.. لكنني أعطيته تعليمات صارمة أن يتصل بي لو سألته عني. ومنذ يومين فعلت هذا، فتدبرنا أمر هذه الرحلة اليوم، مع أنها لم تنجح كما كنت آمل.

ـ أتعني بسبب انفجار المركب؟

ـ لا.. بل أعني الشجار وقت الغداء، وتعرفين هذا.

ـ يبدو لي أننا دائماً ننتهي إلى شجار.

ـ ليس دائماً.

وابتسمت، كانا قريبين جداً من بعضهما لا يبعد وجهاهما أكثر من إنشات قليلة، وتساءلت لماذا لا يعانقها، لكن السبب توضح لها الآن، وهو خوفه من الشجار، فمالت تقبّل خده وتقول بهمس:

ـ أحبك.. وسأبقى دائماً أحبك.

تنهد طويلاً:

ـ حسناً.. لقد آن الأوان لتعترفي بهذا.

وشدّها إلى ذراعيه معانقاً بكل شوقه وحبه.

كان المساء في أوله حين غادرا المقهى وسارا إلى البلدة ليجدا سيارة أجرة.. كانت تستمد الدفء من قربه منها ومن ذراعه المتكاسلة على

www.rewity.com

كتفيها، في التاكسي أخذ يخطط:

ـ سأذهب إلى الڤيلا معك لأتأكد من أن فريدا على ما يرام. ثم أعود إلى المركب أغيّر ملابسي.. متى ترغبين أن أحضر لأراك؟ يجب أن نخرج إلى مكان مميز الليلة لنحتفل.. ويجب أن تخبري عمك بهذا، كي نعود إلى إنكلترا بسرعة ونقابل أمك.

ـ أمي؟ ولماذا تريد مقابلة أمي؟

ـ حسناً.. التقاليد تقتضي بأن يقابل الرجل أهل الفتاة التي يريد الزواج منها.. أليس كذلك؟

استوت فيليسا في مقعدها ونظرت إليه:

ـ الزواج؟

ـ هل نسيت أن أذكر لك هذا؟ كم أنا آسف.

ـ أجل. أظنك نسيت أن تذكره.

ـ إذن من الأفضل أن أعوض عن هذا سريعاً.

أمسك يديها وقال بنعومة:

ـ أتتزوجينني.. فيليسا؟

وانتظر ردها بثقة بالنفس.. نظرت إلى وجهه وعرفت أنها لن تحب أحداً يوماً سواه. لكنها سحبت يدها منه وهزت رأسها رفضاً:

ـ لا.. براند.. لن أتزوجك.. أنا آسفة.

بدا عليه الذهول:

ـ لا يمكن أن تعني هذا؟

ـ بلى أعنيه.. لا أريد الزواج.

اهتز التاكسي قبل أن يرد، ولاحظت أنهما وصلا إلى الڤيلا.. قال براند للسائق وهو ينزل:

ـ انتظر.

ثم أمسك فيليسا بذراعها وقادها إلى الحديقة:

ـ قلتِ إنك تحبينني!

ـ أنا أحبك. وسأذهب معك أينما تريد، كي نبقى معاً.. وسأبقى معك طالما تريد أنت هذا. لكن، ألا تفهم؟ أنا لا أريد أن.. أن.. يمتلكني أحد.

ـ لا.. أنا لا أفهم. إما أن تحبي شخصاً بما يكفي للزواج منه، أو لا تحبينه أبداً.

ـ لكن العالم لم يعد يسير هكذا.. باستطاعتك إلزام نفسك بشخص ما دون الخضوع لمراسم سخيفة تثبت التزامك.

ـ إذن، فأنا رجعي متخلف قديم الطراز.. أنا أحبك وأريد الزواج منك.

ـ لست مضطراً لهذا.

ـ لا.. لكنني أظنك تفكرين بأننا إذا لم نتزوج فستبقين قادرة على العبث.

رفعت يدها لتصفعه، لكنه أمسك بها، وقال بقساوة:

ـ لا تعجبني فكرة ان تحبيني لمجرد العبث دون أن تحبيني بما يكفي للزواج.

ـ قلت لك لا أحب أن يمتلكني أحد.. أريد أن أكون مستقلة، وأكسب عيشي بنفسي. أنت لديك الكثير.. ولا أرغب في أن أكون ممتنة للطعام الذي أتناوله، ولا للملابس التي سأرتديها، ولا للسقف الذي سيؤويني.. أفهمت الآن؟

ـ أوه.. بكل تأكيد أفهم.

ترك يدها بازدراء.. وقال:

ـ ليس هناك حاجة للامتنان في الزواج.. لكنك فتاة متكبرة.

ـ متكبرة؟ وكيف لي أن أكون متكبرة؟.. أنا لست ثرية!

ـ لا حاجة لأن تكوني ثرية فهناك ما يدعى بالتكبر المقلوب، ينظر فيه الفقير إلى من هم أفضل منه ويفتخر بفقره.. حسناً.. لا بأس، إذا كان هذا ما تريدين، اذهبي وعيشي مع كبريائك.. فأنا أحتاج إلى زوجة محبة،

www.rewity.com

وليس لمن تأتي إلى فراشي حين يكون لديها الوقت خلال إدارة حياتها الأنانية!

استدار بحدة على عقبيه، وابتعد. فصاحت به:

ـ إلى أين أنت ذاهب؟

ـ إلى مركبي.. وسأبقى هناك بضعة أيام، في حال غيرت رأيك اتصلي بي، وإذا لم تفعلي، فالوداع إذن. كان رائعاً أن أتعرف إليك... أخبري فريدا بأنني سألت عنها.

وابتعد عن نظرها.

وقفت هناك متأكدة أنه سيعود، لكنها سمعت التاكسي يبتعد، وبدأت تركض، لكنه اختفى قبل أن تصل البوابة.

* * *

ببطء استدارت ودخلت إلى المنزل.. متوقعة أن تكون فريدا في الفراش.. تستعيد هدوءها بعد الحريق.. لكن لدهشتها، كان الجميع في غرفة الاستقبال، وأكواب الشراب في أيديهم.

ناداها العم هاري وهي تقف مترددة بالباب:

ـ تعالي فيليسا.. خذي يا فتاتي.. لدينا أخبار جيدة نحتفل بها.. خذي هذا كوب من الشراب.. لقد أخبرتنا فريدا لتوّها أنها وجان كلود سيتزوجان.

أخذت فيليسا الكوب من عمها وكأنها تحلم، وبدت لها فريدا جميلة، الماكياج زائل عن وجهها، وعيناها تبرقان بالسعادة، وبدا جان كلود كذلك سعيداً.. ربما يكون قد التقطها إثر ارتداد صدمتها، لا بد أنه سعيد للحال الذي هما فيه، لكن فيليسا صدقت أنه يهتم بها فعلاً، وكانت سعيدة لأجلهما. كانوا سيخرجون جميعاً للاحتفال بالمناسبة، ودعوها للذهاب معهم، فذهبت لمجرد أن هذا أفضل من أن تبقى لوحدها تفكر.

ارتدت الفستان الذي اشتراه لها براند، سرّحت شعرها تسريحة أنيقة،

واعتنت جيداً بزينتها.. حجز جان كلود طاولة في مطعم الكازينو، ثم بعد ذلك تفرجوا على الاستعراض الشهير.. العديد من الرجال نظروا إليها تلك الليلة وأحبوا ما شاهدوا، لكنها لم تكن تعي هذا أبداً.

كانت الساعة تقارب الثانية صباحاً حين غادرت الكازينو مع العمة هيلين والعم هاري، تاركين الخطيبين يرقصان الليل كله.. تمنت لهما ليلة سعيدة وذهبت إلى غرفتها.. لكن.. ما إن أصبحت هناك، حتى استلقت على الفراش دون أن تخلع ثيابها، وحدقت في السقف. الآن تستطيع أن تفكر.. الآن بإمكانها أن تحس.. ولم تتمتع بما فكرت ولا بما أحست.

عند الثالثة، وقفت فجأة، انتزعت بضعة أشياء لها ودسّتها في كيس، كتبت رسالة قصيرة وضعتها على مرآة طاولة الزينة، ثم تسللت بصمت خارج المنزل.. وتمنت لو أن محرك الدراجة أقوى، فقد بدا لها أن الوقت امتد إلى الأبد لتصل إلى الميناء.. وتسير عبر الرصيف.. وتقف أمام «الشيميرا».

كان السلم ممدوداً بين المركب واليابسة، فقطعته في الظلمة وهي تتعثل كعباً مرتفعاً. رمت حقيبتها في حجرة القيادة، ونزلت إلى الكابينات.. لم يكن باب كابينة براند موصداً، وفتحته لتجد براند مستلقياً تحت ضوء القمر. كان مستيقظاً، يضع يديه تحت رأسه، لا تغطيه سوى ملاءة رقيقة.

دخلت الكابينة وأغلقت الباب وراءها.. وسألت:

ـ أهناك مكان لشخص آخر معك؟

رد وهو يراقب تراقص نور القمر على جسدها النحيل:

ـ هذا ممكن.. لكن لزوجة فقط.

تقدمت منه، وقالت بصوت أجش:

ـ ألا يمكن أن تكتفي بالخطيبة الآن؟

تحرك يوسع لها مكاناً إلى جانبه.

www.rewity.com

ـ خطيبة ستكون رائعة.

ولفَّ ذراعيه حولها وقال وهو يضمّها إلى صدره:

ـ لماذا تأخرتِ؟ ظننتك لن تأتي.

ـ لكنني هنا الآن.. ولن أبتعد ثانية.. يا حبي! يا زوجي!

* * *

www.rewity.com